قافلة الزيت

جمادى الثانية ١٣٩٧ - مايو/يونيو ١٩٧٧







راجع مقال «تأثير الرياضيين المسلمين على المعارف الشرقية والغربية»

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السادس - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
- توزع مجانا -
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

التعليق على صور الغلاف

لقطات تمثل جانباً من نشاطات ارامكو خلال عام ١٩٧٦

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



الشعر العربي في قتال الانسان للحيوان وقتال الحيوان للحيوان

للراحل الدكتور زكي المحاسني

يتناول شعر الحماسة ما قاله الشعراء في وصف قتال الحيوان مع الحيوان أو في تسليط الحيوان على آخر للصيد والقنص . وقد شاع هذا الضّرب من الشعر في العصر العباسي ، في صدره ، وامتد الى عقباه . فكانوا يربّون الفهود والصقور ليصيدوا بها ، وكانو يسمّون الشعر والنثر في وصف ذلك (فنّ الطرديات) ولم يكن ذلك من مبتكرات العصر العباسي في الشعر . وان يكن من مبتكرهم في النثر ، فان في الشعر الجاهلي والأموي طرديات كثيرة غير أنها لم تكن فناً يقصد اليه الشعراء عمداً ، ويقولون فيه خاصة كشعراء العصر العباسي الأول ، فهو اذن كان فناً لأدباء العصر العباسي وشعرائه حتى أثرت فيه رسائل وقصائد قيلت خاصة في مطاردة الصيد ، وكانوا يدبّجون عباراتهم في فن الطرد وينمقون ألفاظها كرسالة ضياء الدين بن الأثير الجزري التي يصف فيها فهداً يطارد ظبية ، وهو يدلنا على أن هذا الضرب من الفنون امتد الى عمره فيقول (١) « فأرسلنا عليه فهداً سلس الضريبة ، ميمون النقيبة ، منتسباً الى نجيب من الفهود ونجيبة ، كأنما ينظر من جمرة ويسمع من صخرة ، ويطأ من كل برثن على شفرة ، ويسبق الفريسة ولا يقبضها إلا على التفاتة » .

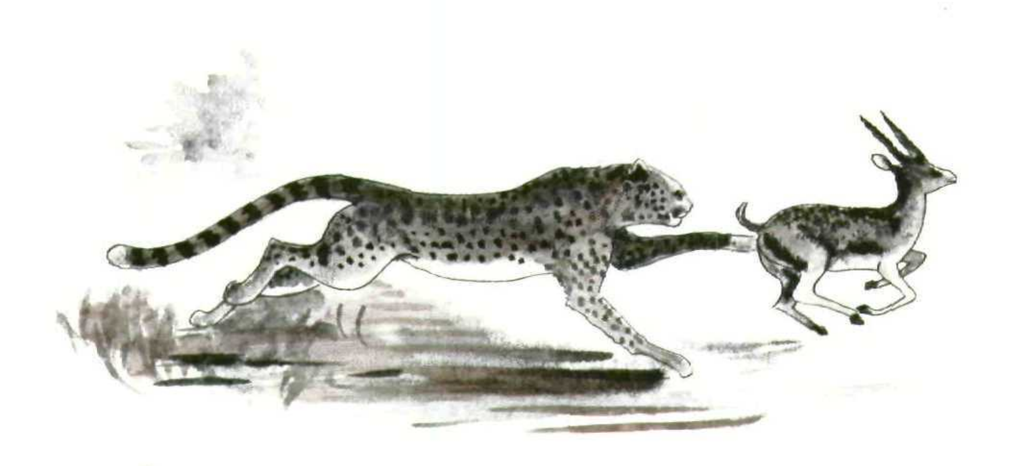
وكقصيدة للشاعر ابن المعتز يصف فيها فهدة تعدو على طريدة يقول فيها :

ولا صيد الا بوثابة ... تطير على اربع كالعذب (٢)
تضمّ الطريد الى نحرها ... كضم المحبّ لمن لا يحب (٣)
اذا ما رأى عدوها خلفه ... تناجت ضمائره بالعطب
لها مجلس في مكان الرديف ... كتركية قد سبتها العرب
متى أطلقت من قلادتها ... وطار الغبار وجدّ الطلب
غدت وهي واثقة انها ... تقوم بزاد الخميس اللّجب

وكان الرومان الشرقيون يصيدون الغزلان في القرون الوسطى بمساعدة الفهود على مثال ما كان معروفاً عند العرب في العصر العباسي الأول وما وليه من العهود العباسية . فقد رأيت صورة تمثل شاباً رومانياً يحث فهداً ليقذف بنفسه وراء غزالين منطلقين . وهذه الصورة حلية على ظاهر مخطوط روماني من القرن العاشر للميلاد وصفه (غوستاف شلمبرجه) في كتابه عن «نيسبفور فوكاس» وأثبت هذه الصورة .

لم يكن الطّرد — كما قلت — طرفة العصر العباسي ، في أي دور من أدواره ، وانما كان مألوفاً في الجاهلية يكلف به الجاهليون في سياق بطولاتهم ومغامراتهم . فكانوا يطاردون وهم على ظهور الخيل ما يعرض لهم من الثيران الوحشية ومعهم كلابهم يرسلونها عليها . وكان يتفق لهذه الثيران ، ولها قرون حداد ، ان تشك بقرونها الكلاب والخيل ، فيعمد الشعراء الجاهليون الى وصف ذلك كله من طراد وارسال كلاب وعراك واصطياد ضمن القصائد التي يقولونها في أغراضهم فتكون هذه الطرديات مقطوعات من القصيدة التي يمضي بها الشاعر الى سبيل آخر غير سبيل الطّرد . وكان بعض الشعراء الجاهليين يستعملون الرمز والتشبيه في حال هذا الطّرد ، وفي سبيل تلك الصيود ليدلوا على أصالة خيلهم وسرعة جريها —

(١) نهاية الارب السفر التاسع ص ٢٤٩ . (٢) العذب اطراف السيوف واحدتها عذبة (اللسان) (٣) لعله كان مصحفاً واصله (كفم المحب لمن قد أحب) .



وهذا يدل على أن الطرد لم يكن عندهم (فناً خالصاً) يقصدون اليه في ذاته ، أي لم يكن غاية . وانما كان واسطة لتفضيل أفراسهم ومطاياهم التي كانت تسبق الطرائد ، كما فعل النابغة الذبياني :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
يوم الجليل على مستأنس وحد (١)
من وحش وجرة موشيّ أكارعه
طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد(٢)
فارتاع من صوت (كلاّب) فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد (٣)
فبثّهنّ عليه واستمر به
صمع الكعوب بريّات من الحرد (٤)
وكان (ضمران) منه حيث يوزعه
طعن المعارك عند المحجر النجد
شك الفريصة بالمدرى فانفذها
طعن المبيطر إذ يشفي من العضد

ثم يتبع النابغة الذبياني هذه الأبيات بأبيات أخرى يصف فيها الكلب وقد ظل حياً حيناً من عمره النافد . فكان يتحرك وهو مشكوك على قرن الثور فيعض أعلى القرن . وكان وجهه ساعتئذ حالكاً من شدة وجعه وبلائه . فيقول عن الكلب (ضمران) :

فظل يعجم أعلى الروّق منقبضاً
في حالك اللون صدق غير ذى أود

وقد رأى الكلب الثاني واسمه (واشق) ما صار اليه صاحبه (ضمران) من الفجيعة والهلاك ففضل الانصراف عن الثور خشية هذا المصير فقال النابغة في ذلك :

لما رأى واشق اقعاص صاحبه
ولا سبيل الى عقل ولا قود
قالت له النفس اني لا أرى طمعاً
وانّ مولاك لم يسلم ولم يصد

وكل هذا الوصف وهذا العناء في الطّرد والصيد ، والعناء في خروج النابغة الذبياني عن مألوف شعره السهل الى مثل هذه الحزونة ، كل ذلك قد قدمه النابغة في سبيل التفضيل وأنه ليهوّل في المشابهة ليجعل ناقته أو فرسه مسرعة صلدة كاسراع الثور الوحشي وصلادته فرحله هذه هي التي تبلغه النعمان .

فتلك تبلغني النّعمان أنّ له
فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد

وبيته هذا الأخير هو خير دليل على أن الطرد الجاهلي كان وسيلة لا غاية . فليس هو فن خاص عند الجاهليين . وكيف كان أمر الشعر الجاهلي الذي قيل في الطرد — في فنه أو في سبيل الفن — فان نابغة ذبيان صور لنا معركة قامت بين كلاب الصائد وبين الثور الوحشي انتهت بهزيمة الكلب (واشق) وقتل الكلب (ضمران) وخسارة الصائد وظفر الثور الوحشي . فكان شعر النابغة هذا قطعة حماسية في حرب الحيوان للحيوان .

تلك صورة لعراك الحيوان مع الحيوان من شعر الحماسة في العصر الجاهلي ، وأما صورة ذلك في شعر العصر الأموي فأرى مثالاً لها عند الشاعر القطامي . فهو في قصيدته التي يناجي في أولها (ضباع) ويطلب اليها الا يكون موقفا منها الوداع ، يتمدح بقبيلته وكانت تلك وسيلة عند الكلام عن بطولة الحرب في أدب العصر الأموي — فان له في هذه القصيدة أبياتاً طرديّة ، لا شك أنه كان ينظر معها الى أبيات النابغة الذبياني ، لكنه أخذ موضوع مطاردته عن لبيد في وصفه للثور الوحشي مع الظباء . فالقطامي يصور بقرة وحشية من الظباء (مثل تصوير لبيد) أضلت خشفا لها وكانت عنه متخلفة (خذولا) فضاع طفلها ، وحين عادت للبحث عنه وجدته طعمة للسباع التي لم تترك منه سوى جلده الممزق . ففزعت على نفسها من الأسُود ، وفرّت لا



(١ ، ٢) اذا اشتد حر الهجير فأعيت الابل كانت ناقتي قوية كالثور الوحشي . (٣) الكلا ب صاحب الكلاب والصرد صوت الكلاب يريد بالمعنى ان الثور الوحشي الذي يشبه به ناقته حذر من الصياد وهو عرض للشماتات به فجعل الشماته معنى رمزياً . (٤) صمع الكعوب اي ضامر المفاصل والحرد استرخاء عصب اليد .





تلوي على شيء . ولم يكن للقطامي من فضل سوى أن غير (الذئاب) (بالأسد) (١) فقال :

كأن نسوع رحلي حين ضمّت
حوالب غرّزاً ومِعىً جياعا
على وحشية خذلت حلوج
وكان لها طلى طفل فضاعا
فكرت عند فيقتها اليه
فألفت عند مربضه السباعا

وهو بهذه الأبيات يشير الى أن رباط رحله حين لف على اخلاف الناقة كان كأنه لف على بقرة وحشية تأخرت عن سربها فاضطربت وضاع لها طفل فدرّ لبنها من فرط الحنان اليه فانطلقت مسرعة نحوه فألفت عنده السباع قد أكلته .

وهذا مثل قول لبيد الذي أشرت اليه حين يقول عن البقرة الوحشية وقد شبّه ناقته بها :

خنساء ضيعت الغرير فلم يرم
عرض الشقائق صوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه
غبن كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرّة فأصبنها
ان المنايا لا تطيش سهامها

وأبيات لبيد هذه من معلقته المطولة يشير فيها الى بقرة وحشية ضيّعت ولدها الغرير فراحت صائحة في عرض مكانها تبكي عليه وقد عفّره الذئاب الغبن وتنازعوا أطرافه . وكان من دأب هذه الذئاب الكاسبة أن لا تنقطع عن مثل هذا الطعام وقد صادفت الذئاب غرّة منها فأصابتها به . وذلك دأب المنايا التي لا تطيش سهامها .

أما العصر العباسي وقد امتاز بالطرافة والتجديد في أكثر فنون الأدب العريق القديم فان بعض شعرائه وأدبائه قد جعلوا الطرديات فناً كما أسلفت ، ونظموا شعراً خالصاً في الصيود والقنائص حتى وضع أبو اسحاق الصابيء رسالة نثرية يصف فيها صيد الكلاب (٢) . وأورد شيخ أدباء العرب بوأ عثمان الجاحظ أبواباً مطولة في ذكر الكلاب ومطاردتها للصيود وأوصافها في الشعر الحماسي عند العرب (٣) .

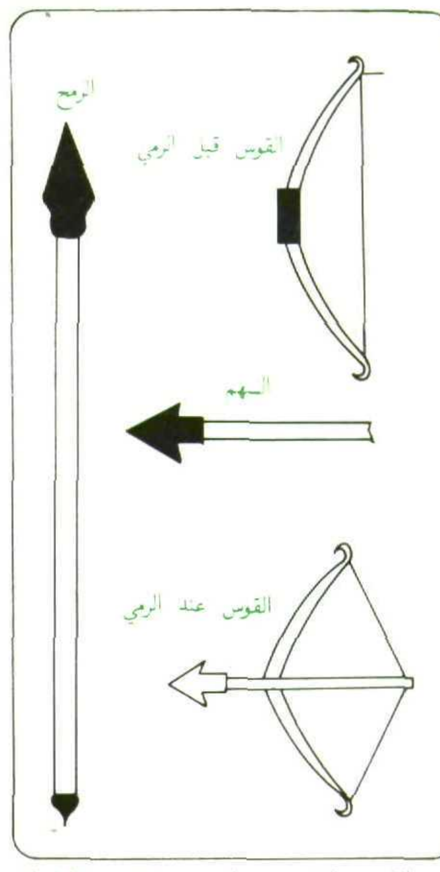
وليس في شعراء العصر العباسي شاعر كان أكثر فناً في الطرديات ولا أحفى ذكراً لها من أبي نواس فان له في ديوانه باباً خاصاً بها . أكثره أراجيز . وهو كما يشهد الجاحظ قد عرف الصيود . وقد أجرى الجاحظ مع هذه الشهادة كلامه في فن أبي نواس وشعره فقال عن الحسن بن هانيء (٤) :

« وكان لعب بالكلام زمناً وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه . وهذا مع وجود الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة » .

وقد بدأ (النواسي) أكثر هذه الأراجيز بقوله : (أنعت كلباً ، أو قوله قد اغتدي) وكل طردياته عذب الوصف حلو التشابيه

---

(١) هذه القصيدة بديوان القطامي ط اوروبا رقم ١١١/١٣ × ص ٣٧ . (٢) نهاية الأرب السفر التاسع ص ٢٥٤ . (٣) الحيوان الطبعة الحميدية بمصر سنة ١٣٢٣هـ ص ١٠٤ (٤) المصدر السابق الجزء ج ٢ ص ١٠




القوس والرمح من اقدم وسائل صيد الحيوان التي استعملها العرب في الجاهلية .

يصلح أن يكون مثالاً للشعر الحماسي ، في حرب الحيوان للحيوان ، كالأبيات البائية المنهوكة البحر التي يصف فيها كلبه الوثاب الهزيل الكشحين الذى عدا على سرب ظباء وعمد الى تيسها الكبير فعاركه وصكه وقضقض عظمه ونهش لحمه . فقال (١) .

يـا رب خـرق نـازح جديب
أخضلـه السحـاب بالصبيب
غـزوتـه بمخطـف وثـوب
مضمـّر الـكشحـين كاليعسوب
رأى ظبـاء ذعـّر القلـوب
وثـابـة عـن منظـر مهيـب
فأعتاقهـا بالشـد ذى اللهيـب
كأنـه في شـدة الهبـوب
فصـكه بـزوره الـرحيـب
صـكاً هـوى منـه الى شحـوب
فقضقض العجـب الى الظنّبوب (٢)
وانتهس الارفـاغ بالنيـوب
يهـوي بـه صكاً عـلى الجنوب
كثـائـر أمـكن مـن مطلـوب

وقد ساد بحر الرجز فن الطرد عند الشعراء العباسيين كأبي نواس والمعتز . ونظم في الطرد من شعراء العصر العباسي أبو فراس الحمداني فكان مولعاً بالصيود الى حد بلغ الغاية فأربى على كل من كان قبله وكان لشجاعته وبطولته ما أعان على هذا الفن فترك لنا قصيدة تقع في مئة ونيّف وثلاثين بيتاً في طرد الحيوان واقتناصه وجعلها ارجوزة مطلقة القافية فصور في أولها عدة الطرد واعداده من صقور وكلاب وفهود وبزاة وقادتها فقال (٣) :

أنعـت يومـاً مـر بي بالشام
ألـذّ مـا مـر مـن الأيـام
دعـوت (بالصقار) ذات يـوم
عنـد انتبـاهي سحـراً من نومي
قلت لـه اخـتر سبعـة كبـاراً
كـلّ نجيـب يـرد الغبـارا
يكون للأرنب منهـا اثنـان
وخمسـة تفـرد للغـزلان
واجعـل كلاب الصيـد نوبتـين
يـرسل منهـا اثنـان بعد اثنين
ثـم تقـدمت الى (الفهـّاد)
(والبازياريـن) بالاستعـداد
ثـم قصدنا صيـد « عين باصر »
مظنـة الصيـد لـكل خابـر (٤)

ثم وصف أبو فراس معارك حيوانية جرت بين البزاة والكراكي ، وبين الفهود والثيران الوحشية . وقتل من صيده ، وقد حمل منه وعول الجبال والأواري والكباش والحجل .

وكل هذه المعارك الحيوانية لا تقل قيمتها في الشعر الحماسي عن قيمة الشعر الحربي البحث الذي يصف معارك الأبطال ويصور قتال المحاربين ●

---

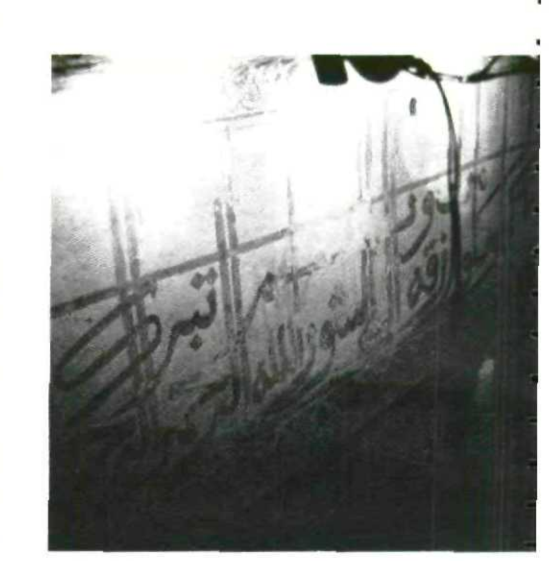
(١) ديوان ابي نواس الطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ ص ٢١٨ (٢) الظنبوب: حرف الساق . وانتهس: انتهش والارفاغ اصل الفخذ . (٣) ديوان ابي فراس الحمداني ط بيروت ١٩١٠ ص ١٥٢


لمحات من
تاريخ المسلمين
في الإتحاد السوفييتي

انطلقت الدعوة الاسلامية من مكة المكرمة ، مهبط الوحي ومبعث النور ، فعمّت أرجاء الجزيرة العربية ، ثم واصلت هذه الدعوة انطلاقتها لتملأ الدنيا نوراً وعدلاً . ومع الزمن اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية حتى وصلت الى اسبانيا وأوروبا والصين ودول آسيوية عديدة . ومن بين المدن الآسيوية التي غمرها نور الاسلام سمرقند ، وبخارى ، وطشقند ، وهي تقع اليوم ضمن أراضي الاتحاد السوفييتي . ويقول « ياقوت الحموي » في كتابه معجم البلدان : سمرقند ، ويقال لها بالعربية سمران ، بلد معروف ، قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر وهو قصبة الصّغد مبنية على جنوبي وادي الصّغد مرتفعة عليه . وقال يزيد بن مفرّغ يمدح سعيد بن عثمان وكان قد فتحها :

لهفي على الأمر الذي
كانت عواقبه الندامه
تركي سعيداً ذا الندى
والبيت ترفعه الدعامه
فتحت سمرقند له
وبنى بعرصتها خيامه

وعن مدينة بخارى يقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، بينها وبين سمرقند سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخاً . ويقول : « أخبرنا الشريف أبو هاشم عبد المطلب حدثنا الامام العدل أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر الحكمي . حدثنا أبو اليسر املاء ، حدثنا أبو يعقوب يوسف بن منصور السياري الحافظ املاء وذكر اسناداً رفعه الى حذيفة بن اليمان ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ستفتح مدينة بخراسان خلف نهر يقال له جيحون تسمى بخارى ، محفوفة بالرحمة ملفوفة بالملائكة منصور أهلها ، النائم فيها على الفراش كالشاهر سيفه في سبيل الله ، وخلفها مدينة يقال لها سمرقند ، فيها عين من عيون الجنة وقبر من قبور الأنبياء وروضة من رياض الجنة تحشر موتاها يوم القيامة مع الشهداء . وينسب الى بخارى عدد كثير من أئمة المسلمين في فنون شتى ، منهم : الشيخ الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ، وأبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور صاحب التصانيف ، والفقيه أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن حمدون بن بخار البخاري وغيرهم .



أما مدينة طشقند فهي ثالثة المدن الاسلامية العريقة في آسيا الوسطى وتقع ضمن أراضي الاتحاد السوفييتي كما أشرنا آنفاً . وهي تزخر بالمعالم والآثار الاسلامية التي تقف كأكبر شاهد على ما بلغته الحضارة الاسلامية من ازدهار في هذه المدن خلال القرون الماضية .

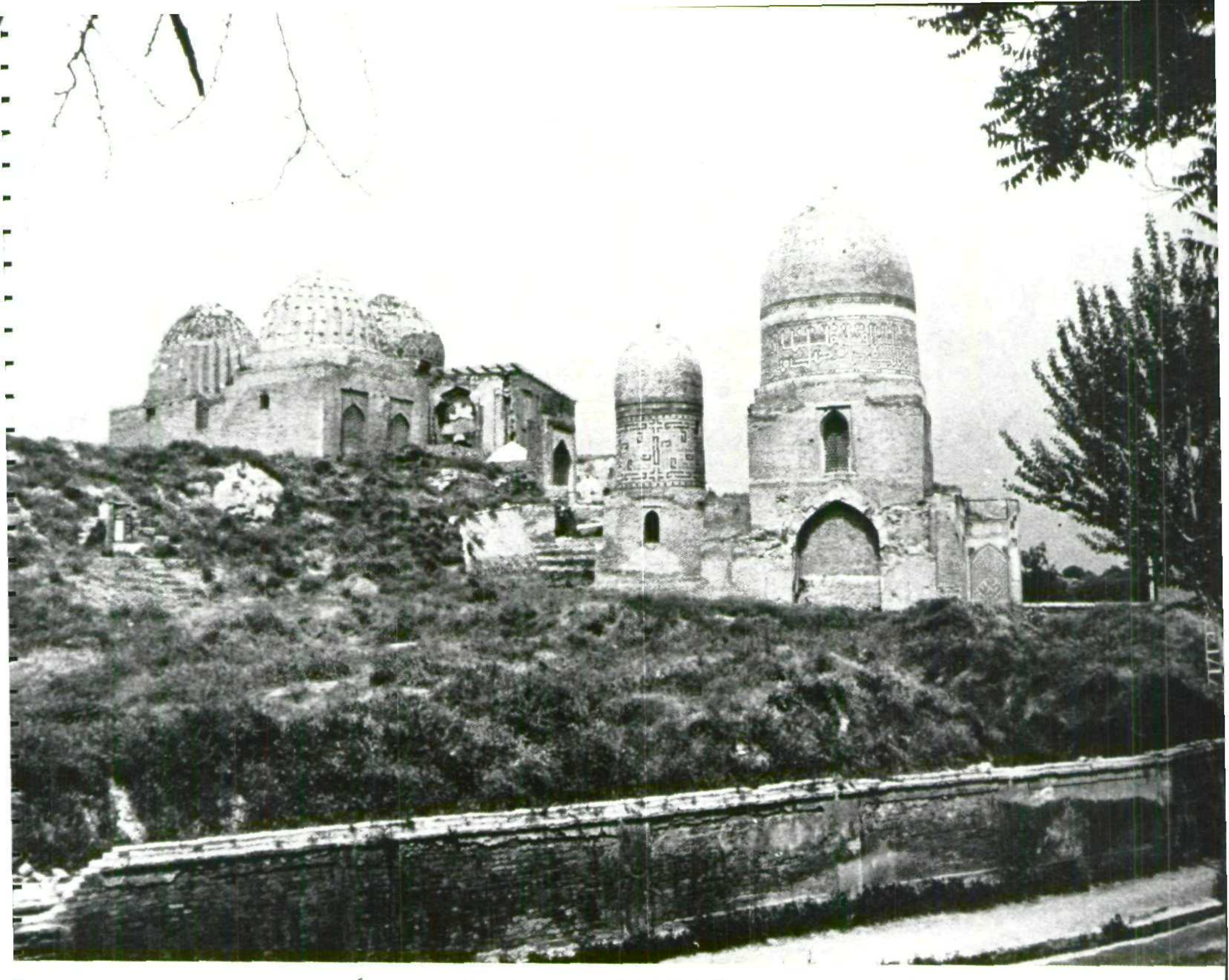
ولعل من أبرز المعالم الاسلامية الأثرية في مدينة سمرقند بقايا جامع « بيبي خانم » بأعمدته وجدرانه المحلاة بالفسيفساء الزرقاء ذات الألوان الزاهية . وفي مدينة بخارى مئذنة جامع « كالان » الشاهقة . فقد كان هذا الجزء من آسيا قبل أكثر من خمسة قرون مضت يعتبر واحداً من أهم المراكز الاسلامية ، وقلب امبراطورية « تيمورلنك » يومئذ .

لقد تعرضت آسيا الوسطى خلال تاريخها الطويل لغزوات متواصلة من بعض الجيوش الغازية . فمن الغرب جاء الاسكندر الكبير ، الذي دحر عام ٣٢٩ قبل الميلاد ، « سبيتاميز — Spitamenes » قائد الصّغد ، وهي من الأمم الأعجمية التي كانت تقطن أواسط آسيا . وقد أنشأ الاسكندر مركزاً له في مدينة « مراكاندز Marakands » ، أي سمرقند الحديثة ، قبل أن يواصل تقدمه باتجاه الهند . وفي القرن الثالث عشر ، جاء جنكيز خان من الشرق ، فقامت قواته المغولية العاتية بتدمير كل ما صادفها في طريقها قبل أن تصل الى أوروبا الشرقية .

لقد خلفت الأمم التي تعاقبت على هذه المنطقة بعضاً من سمات حضارتها ، لكن سمات الحضارة الاسلامية فيها كانت أبرزها وأكثرها عمقاً . وأهم هذه السمات اعتناق سكان المنطقة الدين الاسلامي الذي يسيرون على هديه حتى اليوم .

كان دخول العرب إلى آسيا الوسطى أول مرة في القرن السابع الميلادي ، فاحتلوا مدينة «ترمذ» عام ٦٨٩م . وفي عام ٧٠٥م ، عيّن قتيبة بن مسلم والياً على خراسان . وبعد سبع سنوات قاد « قتيبة » جيوشه الى خوارزم لمساعدة أهلها في إخماد نار فتنة وقعت هناك . وقد استطاع هذا القائد العربي المحنّك ، بمهارته الفائقة ، أن يقوم في العام نفسه بحملة على مدينة سمرقند ، وكان الخوارزميون والبخاريون سنده في تلك الحملة . وبحلول عام ٧٠٨م ، وصل القائد العربي الى مدينة طشقند . لكن قتيبة قتل عام ٧١٥م ، وقد وضع مقتله حداً للتوسع الاسلامي في تلك المنطقة .

ثم مرت فترة كان التنافس خلالها للسيطرة على المنطقة على أشده بين القبائل التركية والعربية . وفي الوقت نفسه ، كان سكان المنطقة يدخلون في الاسلام تدريجياً . وفي تلك الأثناء بدأ الصينيون التدخل في المنطقة ، باحتلالهم مدينة « فرغانة » عام ٧٤٥م ، وقد



« شاه زندة » وهي مجموعة من الأبنية الأثرية في سمرقند ، وتضم ستة عشر ضريحاً .

ظلوا فيها حتى عام ٧٥١م عندما هزمهم القائد العربي الكبير « زياد بن صالح الحارثي » وهو من أمراء الدولة المروانية ، وأحد القادة العرب الشجعان . وبذا وضع حداً للتدخل الصيني مؤكداً أن الحضارة الاسلامية لا الصينية هي التي ستنشر ظلالها على المنطقة بأجمعها .

وقد قام العرب ، في ذلك الحين ، بتوحيد صفوفهم وتنسيق مواقعهم . لكن عام ١٢٢٠م شهد غزوة القائد المغولي جنكيزخان لآسيا الوسطى حيث قامت قواته باحتلال مدينتي بخارى وسمرقند ، وبتدمير العديد من المعالم التذكارية الاسلامية . وعلى الرغم من النفوذ المغولي في المنطقة ، فقد استطاع المسلمون الخروج من المحنة القاسية التي مرت بهم . وفي عهد « تيمورلنك » وهو قائد مغولي مسلم ينحدر من سلالة جنكيز خان ، انتشر الاسلام غرباً الى موسكو ، وشرقاً حتى حدود نهر الكنجز — Ganges » وكانت العاصمة الاسلامية هي مدينة سمرقند .

وبعد وفاة تيمورلنك ، أو تيمور ، كما يعرف في العالم العربي ، استمرت مدينة سمرقند في الازدهار تحت حكم « ألغ بك — Ulug Beg » الى أن أصبحت من أهم المراكز الاسلامية في تلك الأصقاع . لكن المنطقة قد تضعضعت بعد وفاة « ألغ بك » اثر انقسام السكان الى فئات متحاربة . ثم قام نوع من الوحدة فرضها أفراد عائلة الشيباني ، وقد قام أحد أفراد هذه العائلة ببناء مدينة « خيوة — Khiva » وهي مدينة في خوارزم ، واستمر هذا الوضع في المنطقة حتى عام ١٩٢٠م ، وكان نفوذ الروس ينتشر في منطقة خوارزم منذ عام ١٨٨١ ، وبسقوط هذه المدينة في أيدي الروس أصبحت المنطقة بأسرها تحت السيطرة السوفييتية .

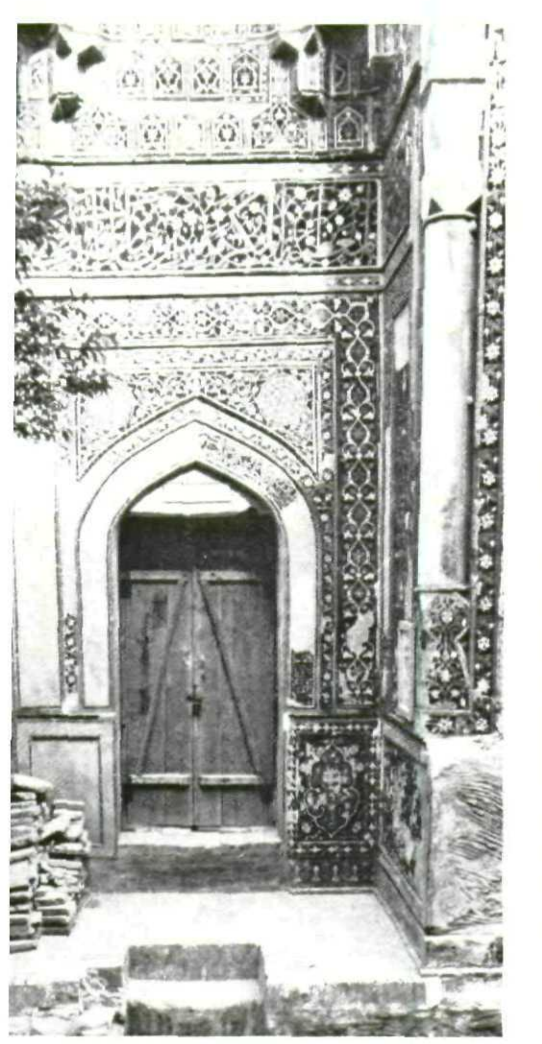
لقد بقي الاسلام طوال تاريخ آسيا الوسطى المليىء بالاضطرابات والفوضى ، وحتى عهد قريب ، القوة الدينية والثقافية السائدة في المنطقة . ولا يزال المسلمون في الاتحاد السوفييتي وعددهم يقدر بحوالي خمسين مليون نسمة حتى يومنا هذا ، يؤدون فرائض الصلاة في المساجد الأثرية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع عشر ، مثل مسجد « حاج احرور » الوقع على مشارف مدينة سمرقند ، وغيره من المساجد الأخرى الموجودة في مدينة طشقند . ويكافح المسلمون في عصرنا هذا للإبقاء على كيانهم

الديني وتراثهم الثقافي . فما تزال المدرسة العربية هناك تدرّس التعاليم الاسلامية ضمن البرامج الثانوية للشباب المسلمين في المنطقة ، حيث يتعلم الطلاب القرآن الكريم وعلم الحديث وآداب اللغة العربية بالاضافة الى الرياضيات والعلوم الأخرى . وتواصل فئة قليلة من الخريجين دراساتهم الاسلامية في جامعة الأزهر بالقاهرة .

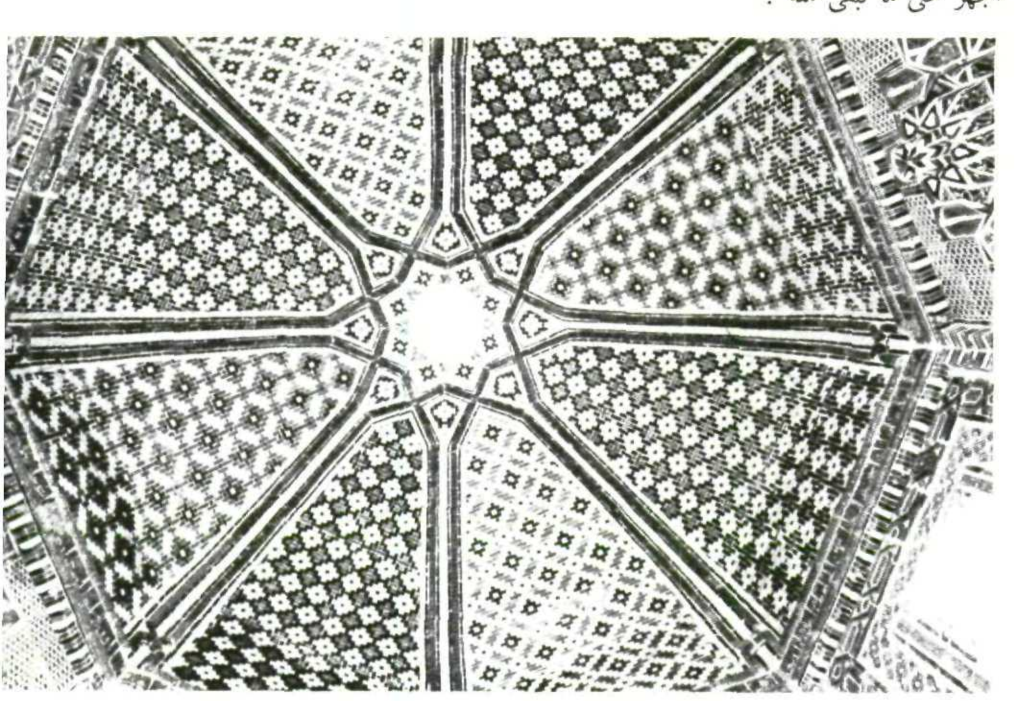
وفي طشقند أيضاً ، يوجد مركز الدراسات الاسلامية ، الذي يحتضن مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات النفيسة ، تضم أكثر من ٢٥٠٠٠ كتاب و ٢٠٠٠ مخطوطة معظمها باللغة العربية والفارسية والأزبكية . كما يقوم المركز أيضاً باصدار مجلة ربع سنوية في مدينة أزبك تدعى « المسلمون في شرق الاتحاد السوفييتي » وهي تصدر باللغات العربية والانكليزية والفرنسية . ويقول السيد عبد القهار غفاروف نائب رئيس مجلس إدارة مركز الدراسات الاسلامية : إن نفرا من المسلمين هناك يقصدون مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وقد جاء في احصائية الحجاج لعام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م الصادرة عن وزارة الداخليـة في الحكومة العربية السعودية ان عدد المسلمين السوفييت الذين قدموا إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج لم يتجاوز الـ ٢١ حاجا .

ومن بين المعالم الأثرية الاسلامية التي تحتضنها هذه المدينة ، مجمع من الأبنية يدعى « الريجستان » والذي كان في يوم ما ، السوق الرئيسية لمدينة سمرقند القديمة . وقد كتب اللورد « كورزون » الذي زار المنطقة في عام ١٨٨٨ ، كتب عن هذا المجمع يقول « لا أعرف مكاناً آخر في الشرق أو في أوربا يضارعه من حيث البساطة المتناهية والأبهة . ويمكن مقارنته بكل تواضع بسوق « بيازا دى سان ماركو » في مدينة فيينا بالنمسا » . ويضم هذا المجمع ثلاث مدارس . أقدمها مدرسة « ألغ بك » التي تم بناؤها حوالي عام ١٤٢٠م . أما المدرسة الثانية فهي مدرسة « شير دار » أي « مشية الأسد » التي بنيت ما بين عامي ١٦١٩ و ١٦٣٦ . بينما تقع المدرسة الثالثة في الجهة الشمالية من المجمع وتدعى مدرسة « تيلا كاري » ويرجع عهد بنائها الى حوالي منتصف القرن السابع عشر .

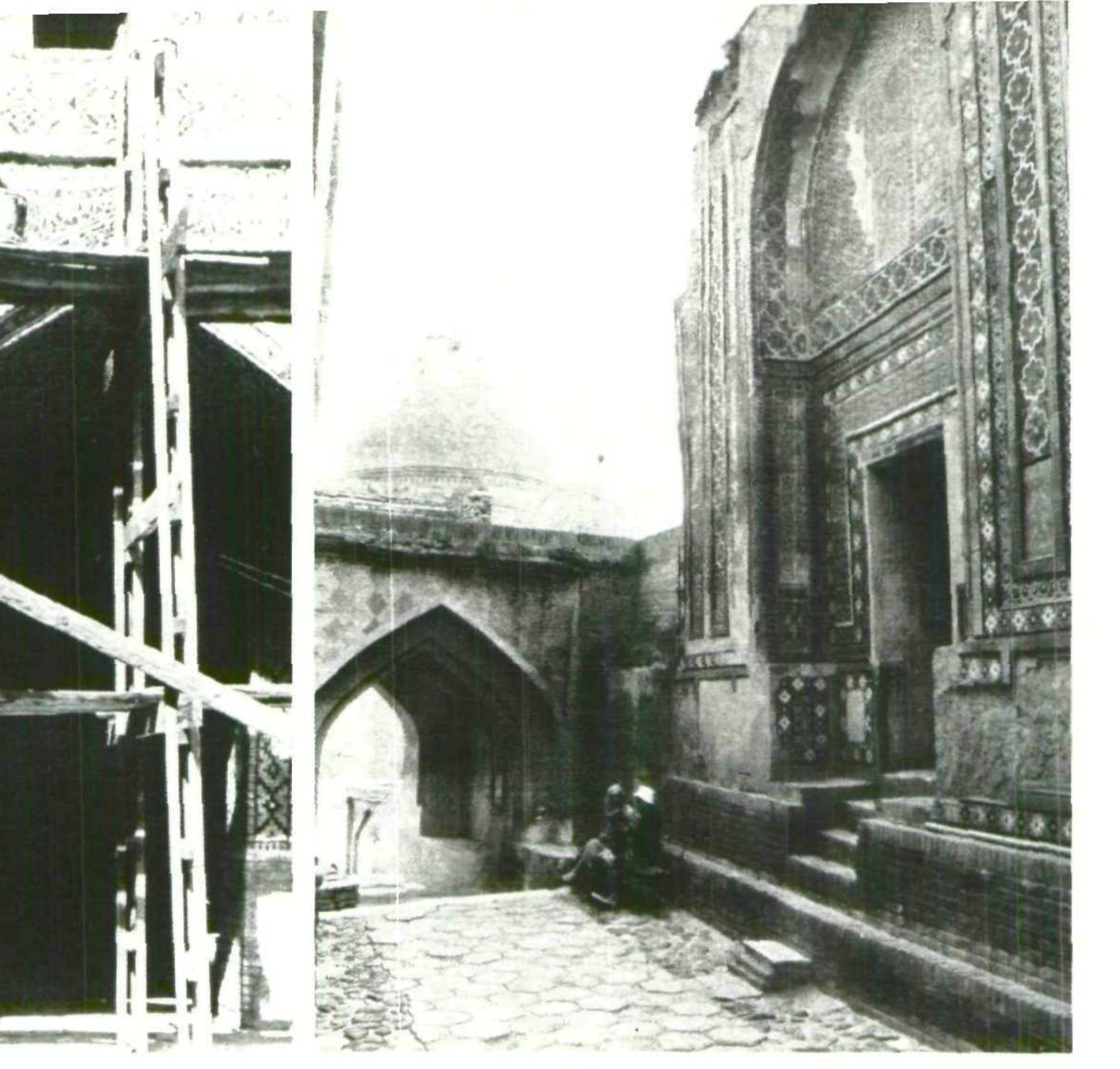
ومن أروع المباني التي يرجع تاريخها الى عهد « تيمور لنك » جامع « بيبي خانم » الذي ما زالت أطلاله ماثلة للعيان . وقد كانت بيبي خانُم زوجة لتيمورلنك ، ويقال أنها أشرفت بنفسها على عملية بناء المسجد بينما كان زوجها منهمكا في إحدى الحملات العسكرية . غير أن بعض المصادر تشير الى أن تيمورلنك هو الذي أشرف بنفسه على اقامة المنشآت الخاصة بالجامع المذكور ، اذ يبدو أن حاكم آسيا الوسطى بعد أن شعر بتقدم سنه وبسوء حالته الصحية ، عزم على أن يترك وراءه أثراً وذلك بانشاء واحد من أكبر الآثار في العالم الاسلامي . وقد عمل المهنيون من جميع أرجاء امبراطورية تيمورلنك ليل نهار لإكمال هذه المنشآت في أقصر وقت . ويقال أنه قد استعين بحوالي ٩٥ فيلاً لهذه الغاية . وعندما اكتمل البنيان ، بلغ اتساع الساحة الداخلية ٢٧٠ X ١٨٠ قدماً ، وبلغ ارتفاع المدخل حوالي ١٢٠ قدماً . ولسوء الحظ فان اتساع حجم البنيان الكبير قد ساعد الى حد ما على سرعة تقوضه نظراً الى أن هيكله لم يكن من القوة بحيث يستطيع احتمال ثقل مثل هذا الصرح الضخم ، كما أن الهزات الأرضية التي تعرضت لها المدينة ، والاهمال الذي تعرض له البناء خلال القرن التاسع عشر قد أجهز على ما تبقى منه .



واجهة مسجد « بيبي خانم » في مدينة سمرقند



احدى القباب من الداخل وقد كسيت بالفسيفساء .



احد المعالم الاسلامية وقد ظهر مرصعاً بالفسيفساء .

اثنان من الصناع اثناء انهما كهما في ترميم احدى واجهات مدرسة اسلامية بخراسان.

أما الأثر الاسلامي الرئيسي الآخر في سمرقند فهو مجمع مكون من ست عشرة بناية يعرف باسم « شاه زندة » ، أي الأمير الحي ، ويرجع تاريخه إلى ما قبل العهد المغولي . غير أن بقايا هذا المجمع يرجع تاريخها الى عهد تيمورلنك وما بعده . ويمر الداخل الى المجمع عبر بوابة أشادها « ألغ بك » ، ثم يصعد مجموعة من العتبات تحيط بها من الجانبين سلسلة من المدافن . واحدة منها تخص « شاد الملك » احدى زوجات تيمورلنك وأخرى تخص زوجته « تومان آكا » ، أما المدافن الأخرى فتضم رفات أشخاص أقل شهرة من أصدقاء تيمور لنك وأعضاء أسرته . وتعكس واجهات المباني التابعة للمجمع الدقة في البناء .

وتقول المصادر التاريخية أن تيمورلنك قد جلب نخبة من الحرفيين المهرة من مختلف البلدان ومن بينها سوريا والقوقاز والهند والعراق وايران كي يضفي على المباني ومدينة سمرقند طابعاً من الرونق والأبهة والجمال .

وتأتي مدينة بخارى في المرتبة الثانية من حيث روعة الآثار الاسلامية ، لكنها كانت في أوج مجدها تضاهي مدينة سمرقند . وتضم مدينة بخارى مجموعة من الأبنية مختلفة النماذج تعكس فترة تاريخية تعود الى أكثر من ألف عام . وتشرف على المدينة قلعة حصينة تضم عدداً من المعابد البوذية . وقد قام المسلمون عام ٧١٣م ببناء مسجد بالقرب من أحد هذه المعابد . لكن المغول دمروا هذا المسجد فيما بعد ، كما دمّروا معظم الآثار الاسلامية الأخرى التي شيدت في أوقات مبكرة من انتشار الاسلام هناك .

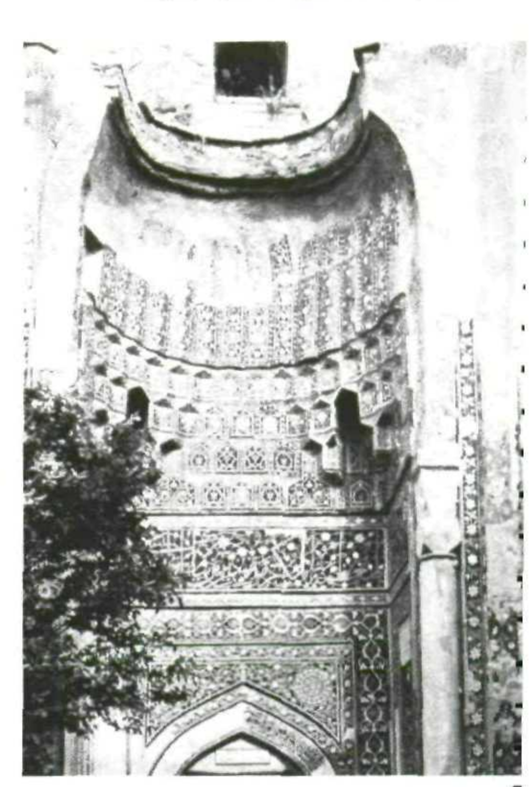
ومن المعالم الأثرية الاسلامية البارزة في بخارى مئذنة « كالان » السامقة التي يبلغ ارتفاعها ١٧٠ قدماً وقطرها عند القاعدة ٤٠ قدماً . ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الثاني عشر ، وقد ازدانت جدرانها بأربعة عشر نوعاً من الطوب المشوي . والى جانب هذه المئذنة ، هناك أثر اسلامي آخر هو مسجد « ماغوكي – أتاري – Magoki - Attari » الذي يرجع تاريخ بنائه الى القرن الثاني عشر أيضاً . وهناك آثار أخرى تحتضنها بخارى ومنها مسجد « البلند » ، أي المسجد العالي ذو المحراب الأنيق المرصع



سيدتان تجهزان الطوب للقيام بأعمال الترميم الخاصة باحدى المدارس الاسلامية بخراسان .



فنيون يقطعون ألواح الآجر لاستخدامها في اعمال الترميم .



معلم اثري في سمرقند وقد كسي بالفسيفساء الملونة .

بالفسيفساء والسقف الخشبي المطلي بالألوان الجميلة . هذا وتحتضن مدينة بخارى وضواحيها آثاراً اسلامية جذابة أخرى من بينها مدرسة « مير عرب » ومجمع « لابي هوز » الذي يضم مدرسة « كوكلتاش » ، ومسجد « تشهار منار » أي مسجد المآذن الأربع الذي تم بناؤه في عام ١٨٠٧ ، والذي يعتبر من أهم المباني الأثرية في مدينة بخارى .

واذا كانت مدينتا سمرقند وبخارى تحتضنان أكثر المعالم الاسلامية البارزة في أواسط آسيا ، فان مدينة « خيوة » تحتضن هي الأخرى آثاراً اسلامية تتسم بالروعة والجمال . فالسائر عبر الطرقات الضيقة لهذه المدينة التي كانت مزدهرة في يوم ما ، يستطيع أن يتخيل ذلك العصر الزاهي الذي عاشته مدينـــة « خيوة » في أواخر القرن الثامن عشر . غير أن هذه المدينة قد قاست أكثر من غيرها من مدن أواسط آسيا من هجمات الغزاة المتعددة عليها . ومع ذلك فانها ما زالت تعد طابعاً فريداً للفن المعماري الاسلامي . وتحتضن المدينة الآن مدينة داخلية هي «ايشان كالا — Ichan Kala» يحيط بها سور من الطين والطوب تتخلله بوابات مدعمة بما يشبه القلاع . وتنتشر في الخارج بساتين التوت والفاكهة وحقول العنب . وخلف هذه البساتين تلال الرمال التي تكسوها أشجار الزعرور التي تقتات عليها قطعان الماشية .

وتضم مدينة « ايشان كالا » قصرين أثريين هما « كونيا آرج » أي « القلعة القديمة » التي

بنيت في القرن الثامن عشر ، و « تاش هولي » أي « البيت الحجري » الذي بني حوالي عام ١٨٣٠ ، بالاضافة الى مئذنتي المدينة الرشيقتين وتدعى اولاهما « كوك منار » أي « المئذنة الخضراء » وقد دعيت في وقت ما « كالتا منار » أي « المئذنة القصيرة» . والثانية «خوجه اسلام» . وقد بدأ بناء المئذنة الأولى عام ١٨٥٢ ، لكن عملية البناء لم تكتمل ، ومن المرجح ، أنه كان مخططاً لها أن تصل الى ارتفاع سامق جداً . كما يرجح أن تكون المئذنة الثانية والتي بنيت عام ١٩٠٨ آخر انجاز للفن المعماري الاسلامي الضخم في أواسط آسيا .

ولعل من أهم السمات البارزة للمعالم الأثرية في مدينة خيوة ، الزخارف المتقنة الصنع التي تزدان بها هذه المعالم ، اضافة الى صناع المدينة المهرة الذين أظهروا دقة رائعة في التحكم بعملهم والتنوع الكبير في روائع انتاجهم .

واذا كان الاسلام في أواسط آسيا في عصرنا هذا لا يزدهر بصورة فعالة ، فانه ، كما أشار جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم مؤخراً في احدى المقابلات : « ليس صحيحا أن يقال بأن الاسلام في أواسط آسيا قد قضي عليه». ان العقيدة الاسلامية السمحاء في أواسط آسيا عقيدة ثابتة وباقية ، ورغم أن صوت المؤذن لم يعد يسمع عالياً من فوق مآذن مساجد مدن آسيا الوسطى ، فإن المؤمنين بهذه الشريعة الغراء ما زالوا يؤدون الصلوات الخمس كما كانوا يفعلون قبل أكثر من ألف عام مضت . ان وجود هذه الفئة القابضة على تعاليم الشريعة الاسلامية كالقابض على جمر يؤكد تأصل الدعوة الاسلامية التي استطاعت أن تتحمل وطأة جيوش تيمورلنك الغازية ، والتعصب الفكري الذي فرضه عليها ألغ بك » ، والقيود التي تفرضها السلطات السوفييتية على المسلمين هناك وأن تخرج بالتالي قوية ثابتة الجنان ، وأن تزداد تمسكاً بالعقيدة الاسلامية وتعاليمها السمحة ، رغم كل ما تعرضت وتتعرض له من متاعب ومحن ●

اعداد: يعقوب سلام - هيئة التحرير
عن مجلة « ارامكو وورلد »

تصوير : جون كيشيشيان وآن مورنو

مدخل احدى المدارس الاسلامية العريقة في مدينة سمرقند ويرجع تاريخها الى القرن السابع عشر

الدَّوحَةُ المَقْطُوعَة

للشاعر: الياس قنصل

لا تستطيل عليك اعراض البلى ... مهما أمضك مخلب المنشار
هي نوبة تمضي ويبدأ غيرها ... متسلسلا بمشيئة الجبّار
لا تنتهي فيك الحياة فأنت من ... عجلاتها في لولب استمرار
اني اراك على الحضيض طريحة ... وارى حيالك شفرة الجزار
فيروعني الجبروت يذعن للشقا ... وتظل فيه مهابة الجبار
ما تصبحين غدا وأنت رهينة ... مطواعة في حوزة التجار
أخزانة تحمى بها الأموال من ... سطو اللصوص ومطمع الاشرار
أو آلة حدباء في جنباتها ... عظة الجِمام وحكمة الادهار
أو مرقماً يجلو عن العقل الدجى ... ويعد درب المجد للأحرار
أو منبراً منه تذاع قصائد ... فيها تصب قوالب الافكار
أو معزفاً يطمو الحنين بنفسه ... لحناً ، فيدفعه إلى الأوتار
أو مسكة يتوكأ الأعمى على ... اطرافها فيسير دون عثار
أو لعبة للطفل تسعد قلبه ... ويخال فيها غاية الأوطار
أو دمية هي من نسيق جمالها ... في كل رف قبلة الأنظار
أو ملجأ يتآمر الاخلاط في ... اخفى زواياه على الابرار
أو صولجاناً يشتهي تقبيله ... متزلف من زمرة الأنصار
أو قارباً لم يستطع تخويفه ... ثوران ارياح وهيج بحار
تتكيفين كما تود ارادة ... ترضي النعيم على حساب النار
كانت ظلالك جنة مفتوحة ... ابوابها للمتعب المنهار
جابهت بالصبر الجميل كوارثا ... دهمتك ، لا بالمدمع المدرار
وحملت هم الجدب قانعة ولم ... تستسلمي للنوء والاعصار
ونأيت عن هوس الغرور سماحة ... وعلى غصونك اطيب الاثمار
لم تسألي ان كان من أهل العلى ... جاني قطوفك او من الفجار
رمز الصلابة في وجودك واضح ... كوضوح رمز العطف والايثار
ان انكروا فيك الشعور فما محت ... شمس الحقيقة غيمة الإنكار
رافقتنا في رغدنا وعنائنا ... وسعفتنا في سائر الاعصار
لولاك ما ازدهرت حضارتنا ولا ... امست رفاهتها مجال فخار
فإذا تفرع منك شيء للأذى ... عفوا ، فتلك جريرة النجار
ما اجهل الانسان يحسب انه ... اسمى بفطرته من الأشجار
والفرق بينك في الصميم وبينه ... كالفرق بين الماس والاحجار
سيان خيرك حية او ميتة ... ونداك في تشرين او ايار
والمرء يملأ بالشرور حياته ... ويشيد دنياه على الأضرار

الياس قنصل – الارجنتين

التعليم الوظيفي

بقلم: الدكتور ابراهيم عباس نتو





تمهيد

لقد قمت بتركيب كلمة « الوظيمهني » وذلك بدمج كلمتين هما : « الوظيفي » ، و « المهني » ، وأحببت استعمال الكلمة الجديدة وادخالها الى اللغة العربية لا بقصد الابتكار ولكن لغرض التسهيل والاختصار . وعبارة « التعليم الوظيمهني » توازي عبارة« Career Education ».

ونعني بعبارة التعليم الوظيمهني التشكيل والتنمية التدريجية المكثفة والمستمرة لادراك المفاهيم والمضمون لكل ما يدرّس للطالب بهدف اعداده للحياة العلمية التي سيواجهها بعد التخرج . فمنذ اللحظة التي يبدأ فيها الطالب دراسته في الجامعة – مثلاً – لا بد وان يتعلم بطريقة واضحة لا لبس فيها ، العلاقة القائمة بين المواد التي يدرسها وجميع ما يترتب عليها من معان وآثار ترتبط بخبرته العملية المهنية الوظيفية . . ويقودنا ذلك ، من غير شك ، الى تذويب التباين بين البرامج التعليمية الدراسية وبين البرامج المهنية والفنية . . وهي أيضاً تستهدف ابتكارات ثقافية متعددة نابعة من تغيير مادة المحتوى الدراسي الذي يدرس للطالب في الوقت الحاضر لاحداث تغييرات جذرية كبيرة في هيكل الأسلوب المهني وفي تذوق العمل نفسه . وهذا يعني تغيير الاتجاهات والمواقف السلبية القائمة نحو التعليم الوظيفي – المهني – اليدوي على أنه مخصص للمتخلفين والمعوقين والمسنين .

ولكن الوظيمهني يجب ألاّ يتضمن اتجاهات ايجابية متطورة بالنسبة للعمل المهني فحسب ، بل يجب أن يمكن الطالب من تذوق العمل ، أي نوع من العمل . فهذا النوع من التعليم يجب أن يستهدف اعطاء الطالب مزيداً من التقدير ، ومزيداً من تفهم معنى وقيمة ما يدرسه من مواد ، والعلاقة الوظيفية الوثيقة بين المواد التي يدرسها وبينه شخصياً وبين مجتمعه والبيئة التي يعيش فيها .

التعليم الوظيمهني

هو مجموع الجهد المتحصّل الذي تبذله الهيئات التعليمية المختلفة والمؤسسات الاجتماعية القائمة لتمكّن الفرد من أن يتعود على القيم الخصبة المثمرة ، وتقوية هذا الجهد عن طريق اقامة علاقات متبادلة بينه وبين القيم والممارسات الاجتماعية والتعليمية الأخرى للوصول الى اتحاد وثيق بين المحتوى النظري التعليمي الأكاديمي ، وبين المهارات العملية والمهنية .

تاريخ التعليم الوظيمهني

بدأ الاهتمام بذلك النوع من التعليم منذ قرن مضى من الزمان . . وما أن أهل القرن العشرون حتى برز ما لا يقل عن ثلاثة من العلماء الامريكيين المشتغلين بهذا النوع من التعليم فقاموا باجراء دراسات أولية يستكشفون بها ماهيته . . وهؤلاء العلماء الثلاثة هم « جيمز رسل » و « الفرد نورث هوايتهيد » و « جون ديوي » . ومع مضي الزمن وحتى الستينات من القرن الحالي برزت التشريعات المتعلقة بكثير من البرامج التعليمية المبتكرة في أمريكا ، ومن هذا المنطلق بدأت حركة التعليم المهني الوظيفي (الوظيمهني) تتخذ مسارها في ثبات حقيقي .

ولقد بذلت محاولات جادة فعلاً في هذا السبيل كان من بينها برنامج نيو جرزي الذي أطلق عليه « العلم التطبيقي للأطفال » أو « التكنولوجيا المتعلقة بالصغار » ويستهدف هذا البرنامج تعلّم التلاميذ من سن مرحلة الروضة الى المرحلة الثانوية ، المبادىء والمفاهيم الاقتصادية الأساسية وطبيعة التكنولوجيا ، « العلوم التطبيقية » وكل ما يتصل بالعمل والمواقف التي تعرض أثناء العمل .

أما المحاولة الأخرى فهي برنامج نوفاسكول (مدرسة نوفا) . في فلوريدا ، ويتكون من ثلاث مراحل ، تبدأ من مرحلة الدراسة الابتدائية وتنتهي بانتهاء مرحلة الدراسة الثانوية . . فالمرحلة الابتدائية تتناول تقديم المفاهيم العامة عن مواقف العمالة العملية وتتعلق بالتجارب عن طريق استعمال بعض الأدوات والوسائل ، بينما تتناول المرحلة المتوسطة المبادىء والمفاهيم الأساسية في التكنولوجيا . أما المرحلة الثانوية فتتناول عملية التخصص المتزايد والدراسة المتعمقة .

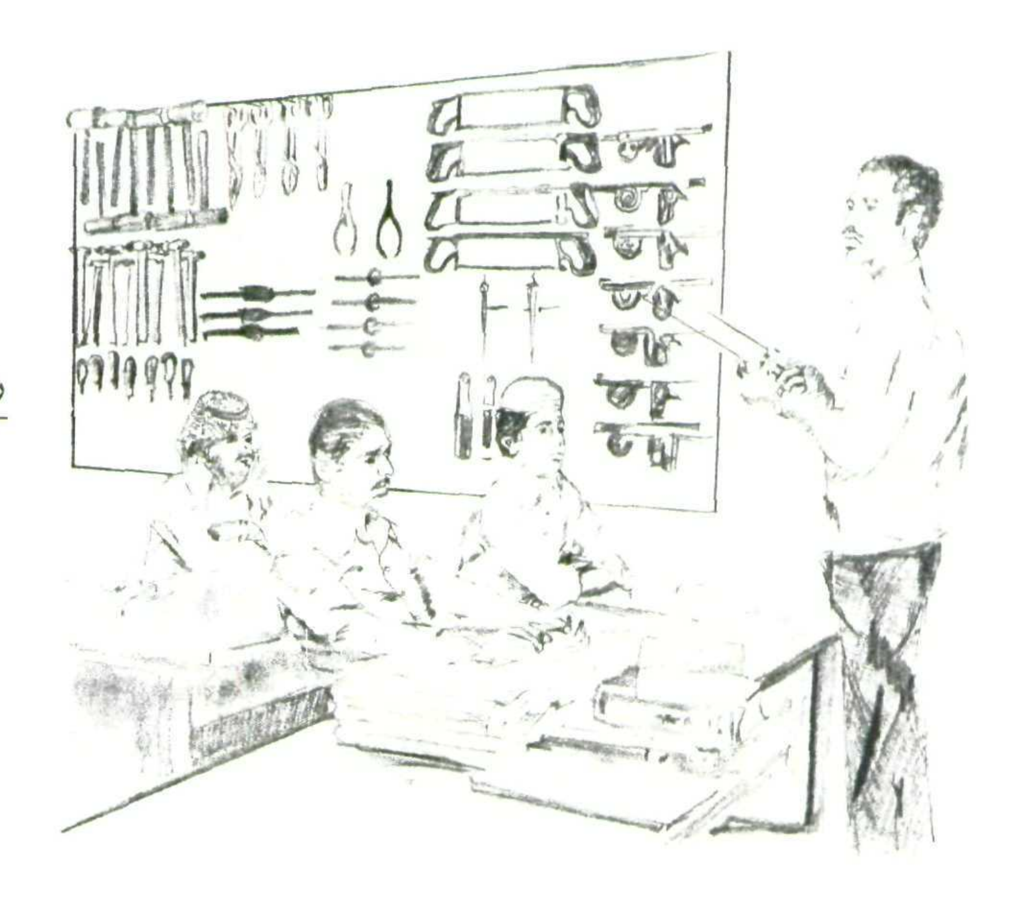
النواحي الأساسية للتعليم الوظيمهني

هناك خمس نقاط تميز الدراسة في التعليم الوظيمهني ، وهي تشمل المهارات ، والتسهيلات القائمة ، والمرونة ، والانجازات المحققة ، واستغلال عامل الزمن .

وتتضمن تنمية المهارات تكوين و / أو تعديل الاتجاهات والمواقف بالنسبة للعمل بتزويد الطالب بأساسيات العلاقات الانسانية والتقييم المتحصل من العمل اليومي ، ومعرفة الاختبارات البديلة في مجال العمل ، والحصول على مهارات عملية معينة .

وتنوع الوسائل التعليمية هو الناحية الثانية في التعليم الوظيمهني . فالتعليم ليس مقصوراً على قاعات الدرس في المدرسة بل يشمل ايضاً بيت الطالب ومكان العمل .

وتسمح البرامج التعليمية المهنية الجيدة للطالب بالمرونة الكافية ليتمكن من ترك المدرسة الى



بعد التخرج . . وهذا كله يجب أن يتضمن اعداد أنفسهم للحياة العملية واجراء تجارب في المدرسة ، أو تسهيل زيارات ميدانية لمواقع العمل ، أو عن طريق تبادل استشارات توثر في المناهج التعليمية .

رابعاً : لا بد وأن يتضمن البرنامج الدراسي تدريباً على عدد معين من المهارات المهنية ، وقد يصبح مثل هذا التدريب « هدفاً نهائياً » بمعنى أن الطالب قد يختزن هذا التدريب لاستعماله في المنزل أو في الوسط الذي يعيش فيه ، أو قد يصبح هذا التدريب « انتقالياً » بمعنى أن الطالب قد يتابعه ليكون هو عمله الذي يشغل وقته كله ، ويكون أساس معاشه .

حين ، ليعمل ، ثم العودة مرة أخرى الى المدرسة لمتابعة دراسته .

وحتى يحقق التعليم الوظيمهني أهدافه التي يعمل من أجلها فلا بد أن يُستغل عامل الوقت استغلالاً كاملاً ، ويشمل ذلك أيضاً وقت الراحة عن طريق ممارسة العادات اليومية والهوايات .

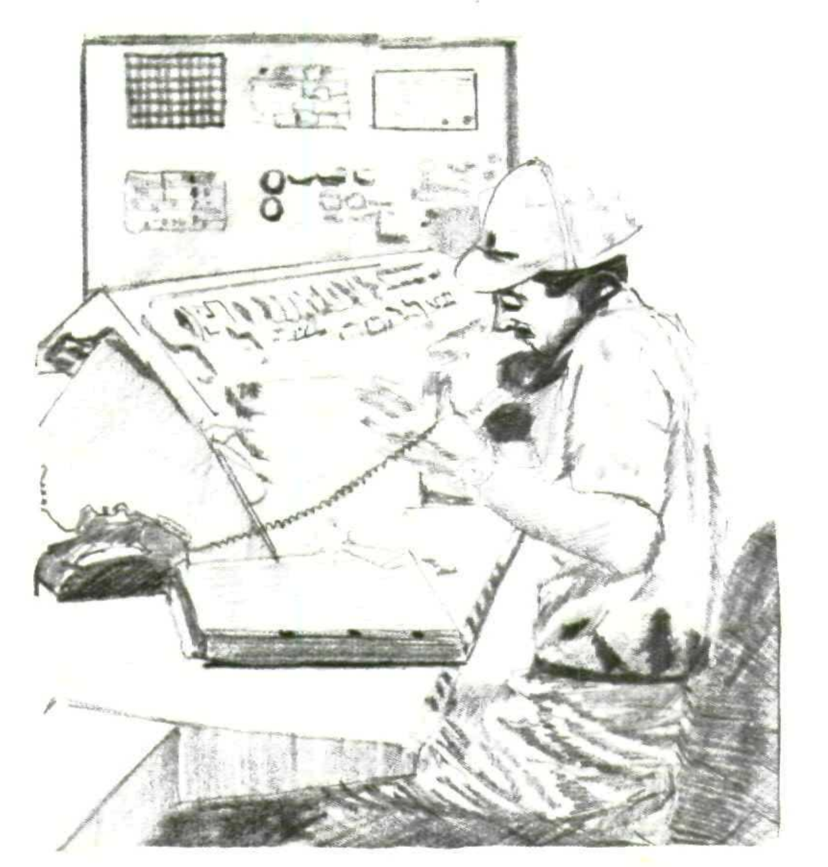
أهداف التعليم الوظيمهني

يستهدف التعليم الوظيمهني أساساً إعداد مواطنين موهلين للعمل وصقل مهاراتهم صقلاً جيداً ، وتكييف أنفسهم لتقلبات الأحوال المعيشية . . ولا بد لنا أن نتذكر أن ذلك كله هو الهدف الذي نسعى اليه ونعمل جاهدين على تحقيقه . وحتى نصل الى هذا الهدف لا بد لنا من أن نسلك الطرق التالية :

أولاً : وجوب تقوية العلاقات المتبادلة بين المنزل والمدرسة والبيئة المحلية . فالمؤسسات الاجتماعية المختلفة ، على سبيل المثال ، عليها أن تهتم باقامة علاقات قوية متبادلة فيما بينها وتؤكد تأكيداً قوياً على تلك العلاقة المتبادلة بين المنزل والقيم المتعلقة بالعمل . وبما أن المنزل هو المكان الرئيسي الذي تتشكل فيه هذه القيم ، فاننا عندما نركز اهتمامنا عليه نكون قد بدأنا طريقنا بداية صحيحة ومثمرة .

ثانياً : قيام المدرسة بمسؤولية تحديد الأبعاد الوظيفية المهنية لكل ما يدرّس للطالب من مواد ، وشرح المفاهيم والأفكار العامة بعبارات مناسبة ووثيقة الصلة بالموضوع .

ثالثاً : تعاون المؤسسات التجارية ومكاتب التوظيف والعمل مع المدارس لتعويد الطلبة على المواقف المتعلقة بالعمل ، وتفهم العلاقة بين التعليم الذي يتلقونه في المدرسة وبين العمل الذي سيمارسونه

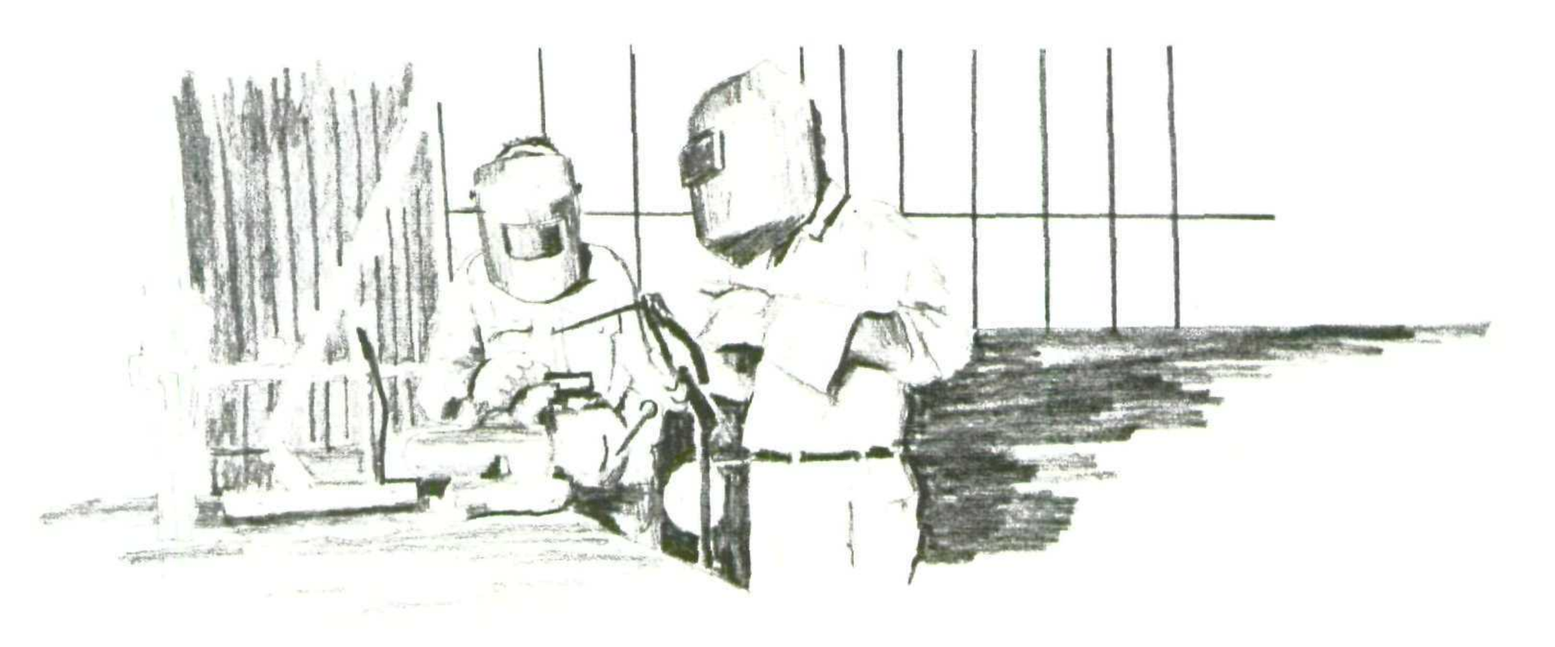


عيوب قاعات الدراسة التقليدية

من هذه العيوب ان الطلبة يقضون وقتهم في قاعات الدراسة وبذلك يُحرمون من البيئة الفنية من الناحية التعليمية في خارج محيط المدرسة . وبينما نجد أن البيئة الخارجية مشحونة ببنود تعليمية لها أثرها وهي أيضاً جذابة وقليلة التكاليف ، فاننا نجد الوسط الذي يخيم على قاعات الدراسة في المدرسة غالباً ما يتميز بأربعة عيوب رئيسية هي :

• **عدم الاثــارة :**

لا نجد في الفصول الدراسية التقليدية إلاّ قليلاً مما يشد الطالب ويثير انتباهه ، ويمكن أن نفسر ذلك بقلة وجود مؤثرات حسيّة تجذب اليها البصر والسمع وحاسة الشم واللمس والتذوق .



- **التكاليف :**

ان تكاليف انشاء وتشغيل الفصول الدراسية في المدارس عالية كما أنها لا تساوي العائدات من النشاطات التعليمية التي تجرى فيها .

- **الاكتظاظ والازدحام :**

تعمل الفصول الدراسية في المدرسة على تكديس المعلومات التجريدية وتخزينها في الذاكرة بدون تفهم لها ، أو بفهم قليل .

- **عامل الزمن :**

عامل الزمن في المدارس محدود جداً سواء بالنسبة للمستوى اليومي أو مستوى السنة الدراسية . فاليوم المدرسي لا يتجاوز خمس أو ست ساعات لمدة خمسة أيام في الأسبوع يدرس الطالب خلالها مواد قد تبلغ ست عشرة مادة في الأسبوع لمدة خمسة أشهر صافية . ومدة الحصة هي خمس وأربعون دقيقة . ومن هنا كانت الفرصة في أغلب الأحوال محدودة للقيام بعمل أي شيء آخر ان لم تنعدم هذه الفرصة تماماً .

دور التعليمات الفردية في التعليم الوظيفي

يعتبر تنويع البرامج التعليمية وطرق التدريس في غاية الأهمية فيما يتعلق بتنمية التعليم المهني الوظيفي وتطويره . ان نظرة شاملة متعمقة للمواقف الفردية للطالب في الحالات التي تتميز بضعف أو بقوة معينة لا بد وأن تؤدي الى تنويع درجة كثافة البرامج الدراسية ومجالاتها . . بل ان هذه النظرة الشاملة المتعمقة قد توصل الى اكتشاف ميول الطالب واتجاهاته ونزعاته الخاصة . ويعتبر ذلك أدنى المتطلبات التي ينبغي تحقيقها .

وسائل وخطط التقييم والتعليم الوظيفي

تعتمد المعايير التقليدية للتقييم في المدرسة على النسب العالية التي يحصل عليها الطالب في مواضيع معينة ونبذ حقيقية مثل النصوص المطولة والجداول الحسابية وغيرها من المواضيع التي يصعب على الطالب استيعابها بسهولة .

ان خطط التقييم هذه لا تتناول مدى تأثير ما يحصله الطالب على حياته الاقتصادية والاجتماعية . . وهذا هو الاتجاه السائد في إعداد التلاميذ من المرحلة الابتدائية الى المرحلة



الثانوية الى المرحلة العالية في المعاهد والجامعات ، ثم الى العمل الوظيفي في أي مكان . .

أما المعايير الحديثة لتقييم التعليم فتشمل الاختبارات الشخصية ، واختبارات الجدارة والاستعداد الشخصي ، والنتائج المقارنة ، واشتراك الدارسين في التقييم ، وبرامج المتابعة بعد أن يلتحق الخريجون بالعمل الوظيفي . أما الاختبارات الشخصية الفردية فهي تشير إلى مجالات القدرة التي تحدد الصعوبات المستقبلة أو الظواهر التي تبشر بالنجاح . . والاختبارات الجماعية مثل المقاييس التي توضع لقياس العلاقات الاجتماعية ، تحدد لنا مدى التعاون الجماعي واحتمالية العمل الجماعي . أما اختبارات انجازات الطالب وما حققه من نتائج وأعمال ، فإنها تعطي فكرة واضحة عن مقدرة الطالب على استيعاب وتفهم الحقائق والآراء .

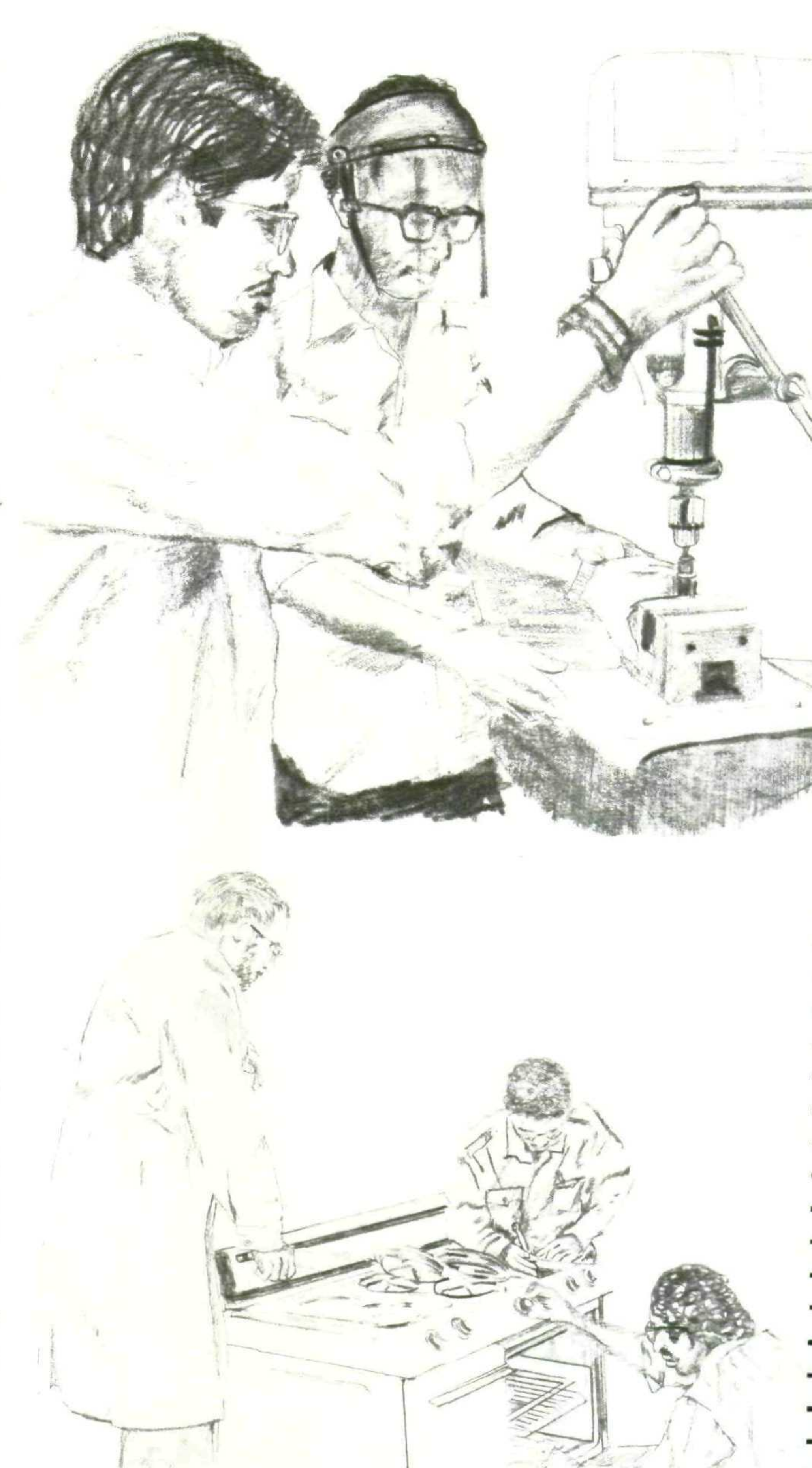
وتشجع السياسة التعليمية التي تتبعها المملكة العربية السعودية على اللجوء الى استعمال اختبار الجدارة والاستعداد الشخصي ، وهي اختبارات قياسية محددة لقياس قدرة الفرد على تنمية وتطوير المواهب أو المعارف المكتسبة ، وذلك بقياس قدرات الطلبة الانمائية ، وتكليفهم بأعمال مناسبة أو بتأكيد مهارات معينة ، أو بارشادهم الى اتباع طرق محددة .

ويميل رجال التعليم المحدثون الى اشراك الطلاب في عمليات للتقييم ليتبينوا وجهة نظرهم فيما يتعلق بالبرامج المطبقة ، وفي نوعية المدرسين وفي مدى ملاءمة المواد الدراسية التعليمية .

وحتى تكون الصورة في اطار متكامل نقول إن علينا متابعة نشاطات الطالب بعد التخرج وذلك بغية تقييم مستوى ونوعية انجازاته الفعلية في مجال العمل الذي يؤديه بعد التخرج .

ان اتاحة التعليم المهني الوظيفي للمواطنين سيؤثر تأثيراً ايجابياً في حياة المتعلمين والدارسين ويساعد على اكتشاف قدراتهم الكامنة وتنميتها ●

د . ابراهيم عباس نتو
جامعة البترول والمعادن — الظهران

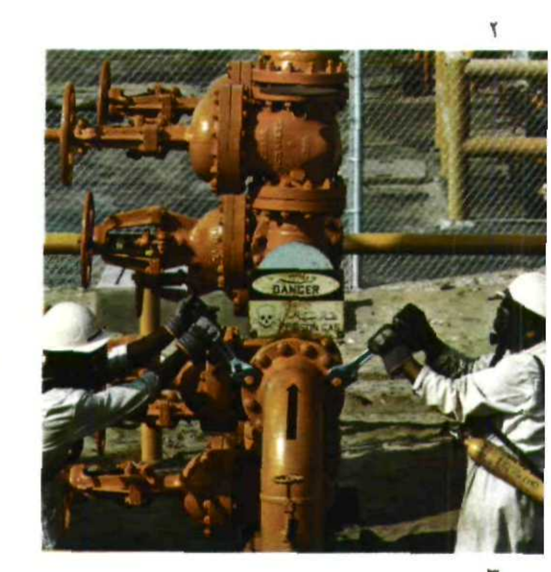




أرامكو ١٩٧٦

أصدرت أرامكو مؤخراً ، جرياً على عادتها في أوائل كل عام ، أصدرت استعراضاً سنوياً لأبرز الأعمال والنشاطات التي أنجزتها خلال العام المنصرم . وفيما يلي مقتطفات مما انطوى عليه هذا الاستعراض الأخير :

أعمال الزّيت



بلغ مجموع ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام في عام ١٩٧٦ ، بلغ ٣٠٥٣ ٨٨٦ ٦٥٣ برميلاً أي بزيادة قدرها ٢٢,٦ في المائة على ما أنتجته في عام ١٩٧٥ .

وفي نهاية العام بلغ احتياطي الزيت الخام الثابت وجوده ١١٠ ١٨٧ ٠٠٠ ٠٠٠ برميل ، وقدر الاحتياطي المرجح وجوده بنحو ١٧٧ ٥٣٢ ٠٠٠ ٠٠٠ برميل ، ويدخل فيه الاحتياطي الثابت وجوده .

كما تم خلال عام ١٩٧٦ اكتشاف ثلاثة حقول زيت جديدة هي السّوبان والشّرار على اليابسة والحصباة في المنطقة المغمورة . ومن ناحية أخرى ، أثبتت أعمال الحفر الجديدة في حقل جريبيعات أن تجمعات الزيت في الطرف الشمالي تشكل حقلاً أطلق عليه اسم حقل جبارى .

وفي مجال التنقيب ، كانت سبع فرق للمسح السسموغرافي البري تعمل في المنطقتين المحتفظ بهما رقم – ١ ورقم – ٥ . كما بدأت فرقة للمسح السسموغرافي في المنطقة المغمورة بقياس الانعكاسات في المياه العميقة بأجهزة عالية الدقة ، وجمعت معلومات عن حوالي ٤٥٠٠ كيلومتر .

ومن ناحية أخرى ، حفر خلال العام ما مجموعه ١٩٣ بئراً جديدة ، منها ٧٣ بئراً للانتاج . أما المائة والعشرون الأخرى فقد حفرت لحقن الماء والمراقبة والتنقيب وتوريد الماء للمنافع .

وعلى صعيد التوسعات والتحسينات التي أدخلتها أرامكو على مرافق الشركة ومنشآتها خلال العام ، فقد أقيمت منشآت كجزء من برنامج تجميع الغاز الذي عهدت به الحكومة العربية السعودية الى أرامكو في عام ١٩٧٥ ، كما تم انجاز أعمال انشائية تتعلق بالمشروع الموحد للقوة الكهربائية في المنطقة الشرقية . واعداد معمل جديد من معامل فرز الغاز من الزيت للتشغيل في منطقة الحوية ، بالاضافة الى تشغيل مرافق أخرى أدت الى رفع طاقة تصنيع سوائل الغاز الطبيعي خلال عام ١٩٧٦ بحوالي ٦٠ في المائة . وتشمل هذه المرافق . التي تشكل أضخم



١ – هذه الاضافة الى منصة ضبط الجريان والعدادات في المنطقة المغمورة في فرضة الجعيمة انجزت في عام ١٩٧٦ فرفعت طاقة الشحن الاسمية في الفرضة الى ثلاثة ملايين برميل في اليوم .

٢ – بفضل التدريب والتفتيش ومعدات السلامة أمكن خفض معدل الحوادث الصناعية المقعدة في ارامكو الى ثلث معدلها في صناعة البترول في العالم .

٣ – سيارة صحراوية منطلقة من احد مخيمات التنقيب في الربع الخالي .

مجموعة من معامل التنصنيع يجري تشغيلها حتى الآن ، تشمل مرافق لضغط الغاز ونزع الايثان في بقيق . وأخرى للتجزئة والمعالجة في معمل التكرير برأس تنورة . كما أضيفت الى مرافق فرضة رأس تنورة معامل تبريد آلية وخزان للنفتا سعته ١٢٥٠٠٠٠ برميل .

ومن ناحية أخرى كان العمل جارياً في انشاء معامل جديدة لفرز الغاز من الزيت في القطيف والحرسانية والظلوف ومرجان ومرافق اضافية لضغط غاز الوقود في بقيق وفي توسيع طاقة حقل السفانية .

ومن بين التوسعات الأخرى التي أجريت خلال العام ، انجاز جانب من المرحلة الثالثة من توسعة فرضة الجعيمة ، واضافة عوامتي ارساء جديدتين وشبكة ثالثة لتحميل الخام ، وتوسيع منصة ضبط الجريان والعدادات في المنطقة المغمورة مما رفع طاقة الشحن من الفرضة الى حوالي ٣٠٠٠٠٠٠ برميل في اليوم ، كما



الناقلة « باتلوس » وحمولتها الاجمالية ٥٤٠٠٠٠ طن كانت أكبر ناقلة في العالم عندما رست في فرضة ارامكو في الجعيمة أثناء رحلتها الأولى عام ١٩٧٦ .

خزانان جديدان للنفتا في فرضة راس تنورة سعة كل منهما ١٢٥٠٠٠٠ برميل ، انجز أحدهما في عام ١٩٧٦ وكان العمل في نهاية العام جارياً في انشاء الآخر .

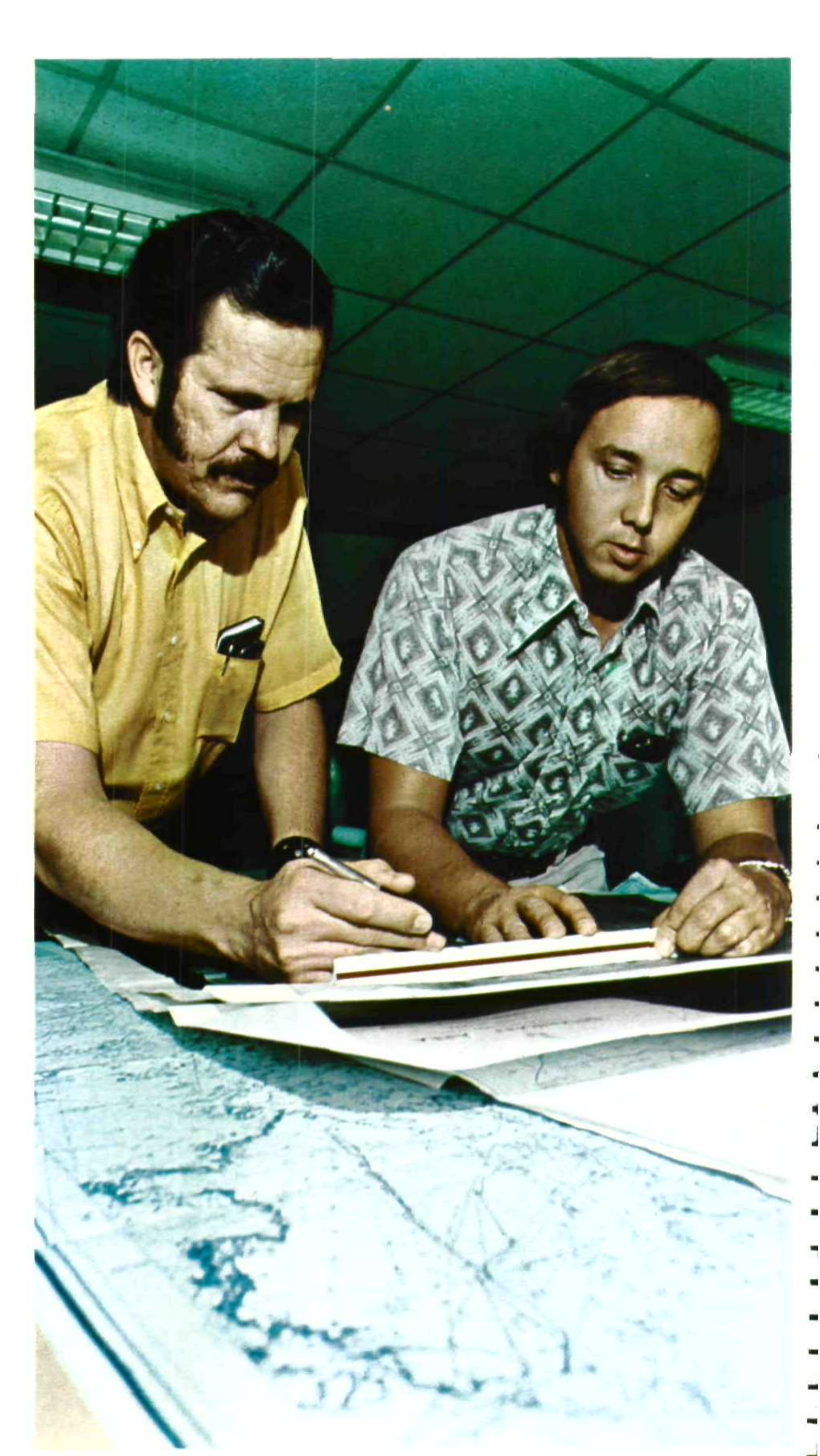
أصبح بالامكان استقبال ناقلات الغد الضخمة التي تصل حمولتها الساكنة الى ٧٠٠ ٠٠٠ طن .

كذلك أكملت أرامكو في عام ١٩٧٦ مد شبكة من خطوط الأنابيب بلغت أطوالها ٢٢٢ كيلومتراً ، ٦٠ في المائة منها لنقل الغاز وسوائل الغاز الطبيعي . ويصل قطر بعض هذه الخطوط الى ١٤٢ سنتمتراً .

ومن جهة أخرى قامت أرامكو خلال العام بتوسيع رصيف رأس تنورة الغربي وانشاء ميناءين آخرين للصنادل في الجعيمة والقرية وذلك لتخفيف الضغط على مرافق الموانيء الحالية .

وبالنسبة لبرنامج تجميع الغاز ومعالجته الذي تقوم أرامكو بتصميمه وإنشائه ومن ثم وتشغيله فسيصبح متكاملاً مع مرافق الشركة نفسها . وفي نهاية عام ١٩٧٦ ، أنجز ٥٠ في المائة من معمل التحلية التابع لبرنامج الغاز في منطقة البري . كما كان العمل جارياً في اعداد الموقع لمراكز معالجة الغاز في شدقم والعثمانية وفي مرافق التجزئة والمعالجة ومرافق الفرضة في الجعيمة . ومن المنتظر أن يتم انجاز الشبكة بأكملها في عام ١٩٨٥ وعندها يصبح بالإمكان تجميع ومعالجة أكثر من ٤ بلايين قدم مكعب قياسي في اليوم من الغاز المرافق « الرطب » وانتاج أكثر من ١,٣ بليون قدم مكعب في اليوم من غاز الوقود الجاف للاستعمال الصناعي وانتاج الايثان لاستخدامه لقيما للمشاريع البتروكيماوية ، والبروبان والبوتان والبنزين الطبيعي للتصدير ، و ٤٠٠٠ طن في اليوم من عنصر الكبريت .. ومن المقرر أن يبدأ تشغيل المرحلة الأولى من هذا البرنامج في منتصف عام ١٩٨٠ .

هذا وتقوم أرامكو ، بتكليف من الحكومة العربية السعودية ، بوضع التصميم لمشروع انشاء



الرحلات الجوية التي تقوم بها الطائرات لالتقاط الصور واعداد الخرائط توفر معلومات عن سطح الأرض لمساندة أعمال التنقيب والتخطيط في الشركة .

١



٣





١ ـ المركب « السفانية ٢ » ، وهو مركب لخدمة الآبار طوله ٥٧ متراً ، انضم الى اسطول ارامكو البحري المؤلف من ٥١ قطعة في عام ١٩٧٦ .

٢ ـ عمود لتجزئة سوائل الغاز الطبيعي وزنه أكثر من ٥٠٠ طن يصل الى الموقع الذي سيقام فيه بالجبيل .

٣ ـ بفضل المساعدات الفنية التي قدمتها ارامكو انتجت مزارع الدواجن المحلية في عام ١٩٧٦ اكثر من ٥٠ مليون بيضة وحوالي مليوني فروج .

١ ـ منذ بدأ العمل ببرنامج تملك البيوت في عام ١٩٥١ حصل حوالي ٩٠٠٠ موظف سعودي على بيوت خاصة

٢ ـ كان العمل جارياً في نهاية العام في اضافة توسيعات الى مركز الظهران الصحي تتسع لمائة وخمسين سريراً .

١



خط للأنابيب عبر شبه الجزيرة العربية لنقل سوائل الغاز الطبيعي الى ميناء « ينبع » على البحر الأحمر ، وسيبلغ طول هذا الخط الذي قطره ٧١ و ٧٦ سم ، حوالي ١٢٠٠ كيلومتر ، وهو أطول خط أنابيب يُمد في المملكة . انجاز خط التابلاين في عام ١٩٥٠ . كما ستقام في « ينبع » فرضة للتصدير ومرافق لتجزئة سوائل الغاز الطبيعي الى ايثان وبروبان وبوتان وبنزين طبيعي للتصدير والاستعمال في الأغراض الصناعية .

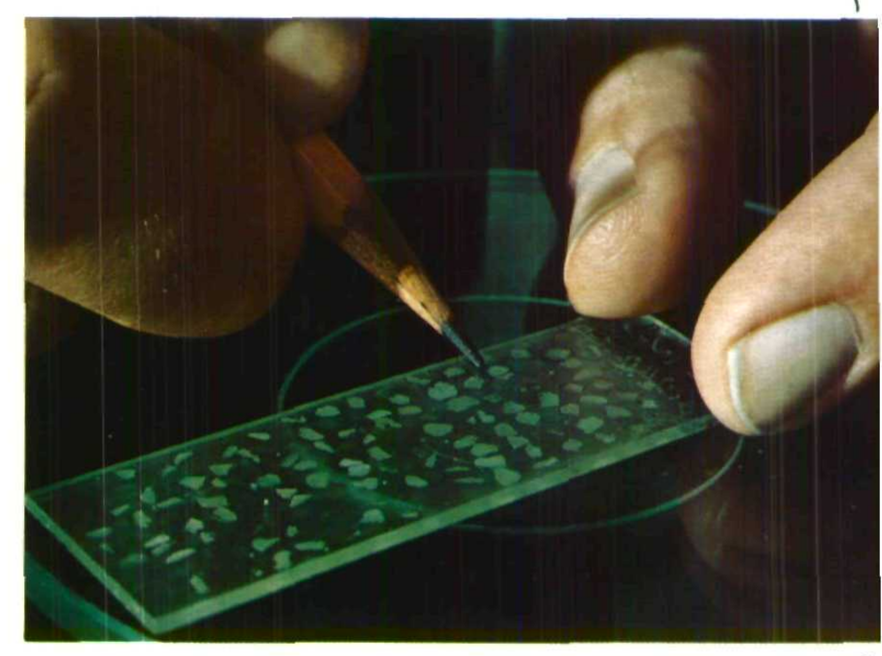
هذا وقد واصلت أرامكو في عام ١٩٧٦ تصميم وتنفيذ مشاريع الكهرباء المستعجلة التي طلبتها الحكومة لمختلف المناطق البلدية في المنطقة الشرقية . وعلاوة على ذلك كان العمل جارياً في المرافق الرئيسية لتوليد القوة الكهربائية ونقلها . وهذه المرافق ستصبح جزءاً من مرافق الشركة السعودية الموحدة للكهرباء التي كلفت أرامكو بادارتها وتشغيلها .

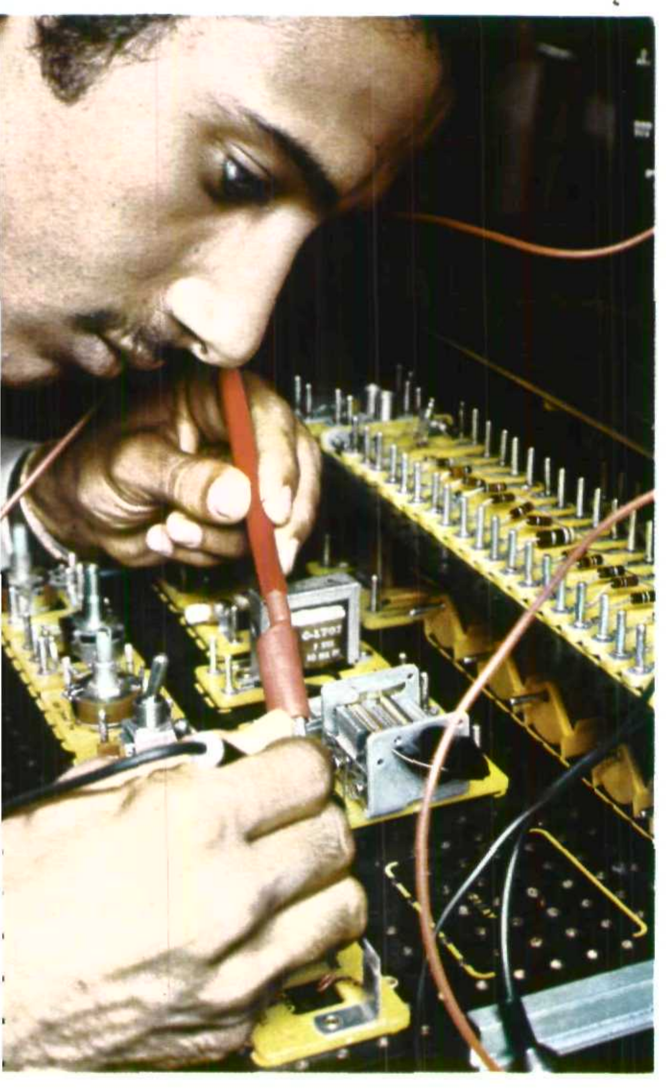
وعلى صعيد حوادث الاقعاد الصناعي . فقد انخفض معدلها في عام ١٩٧٦ من ٢,٩ الى ٢,٤ في كل مليون ساعة عمل . كما انخفضت خسائر الحريق الى حد كبير .

هذا وأصبحت أرامكو عضواً في اللجنة الحكومية للمحافظة على البيئة ، وقد أعدت للنشر كتاباً عن نتائج دراسة أجرتها على الأحياء البحرية في الخليج استغرقت عدة سنوات .

وقد أضافت الشركة الى أسطولها البحري خلال العام ١٢ قاطرة ومركب عمل بحيث أصبح أسطولها في نهاية العام يضم ٥١ مركباً تتراوح قوة محركاتها بين ٣٥٠ حصاناً و ٤٠٠٠ حصان .











١ ـ بعض شرائح الصخور المطلوب فحصها تحت المجهر في مختبر الأحافير في ارامكو .

٢ ـ مبنى الادارة الجديد في الظهران كما سيبدو عند انجازه .

٣ ـ الناقلات راسية في ارصفة التحميل في فرضة رأس تنورة بينما العمل جار في توسيع الرصيف الغربي لاستقبال شحنات الصنادل .

٤ ـ أحد الطلاب يختبر الدوائر الالكترونية في ورش التدريب الصناعي في رأس تنورة .

٥ ـ صندلان طول كل منهما ١٢٢ متراً نقلا ٣٠٧ وحدات من الأبنية الجاهزة لتستعملها ارامكو ككاتب موقتة .

أرامكو وموظفوها

بلغ مجموع موظفي أرامكو العاملين في المملكة العربية السعودية في نهاية العام ٢٠٠٦٧ موظفاً ، منهم ١٤٨٣٧ سعوديون . وبلغ متوسط دخل الموظف السعودي السنوي خلال العام ٢٦٥٦٨ ريالاً . وشغل الموظفون السعوديون ٤٦ في المائة من جميع الوظائف الرئاسية في الشركة البالغ عددها ١٠٩١ .

وقد ضاعفت الشركة جهودها لتوظيف الألوف من العرب السعوديين الذين تحتاج اليهم لتنفيذ مشاريع أرامكو ومشاريع الغاز والكهرباء وغيرها من المشاريع الحكومية الضخمة . وفي عام ١٩٧٦ عدلت الشركة كثيراً من مشاريعها العديدة الخاصة بالعوائد فوسّعتها وأدخلت تحسينات عليها لتسهيل توظيف أشخاص أكفاء والاحتفاظ بهم .

وفي مجال التدريب بلغ عدد الموظفين السعوديين الذين التحقوا بمراكز التدريب الصناعي وورش التدريب الصناعي للتعليم المدرسي والتدريب الحرفي حوالي ٥٧٩٩ ، منهم ٣٢٥٨ تفرغوا لبرنامج التدريب الصناعي الذي يتلقى الموظفون الجدد بموجبه التدريب الأساسي ، المدرسي منه والحرفي . واشترك ١٢٨١٨ موظفاً آخر ، معظمهم من السعوديين ، في دورة أو أكثر من ٤٧ دورة تدريبية أثناء العمل نظمتها أرامكو خلال العام . كما اشترك ٨٣٣ موظفاً في دورات ضمن نطاق التدريب على الادارة .

وفي مجال التدريب أيضاً قامت الشركة بتوسيع برامج التدريب العالي ومرافقه ، وكذلك نطاق التدريس على يد متخصصين من موظفي أرامكو وباستخدام الأشرطة التلفزيونية . كما أعدت الشركة الخطط لاقامة مراكز للتدريب على الادارة في بقيق ورأس تنورة ، ووضعت التخطيطات الأولية لانشاء مركز جديد في الظهران مجهز تجهيزاً كاملاً .

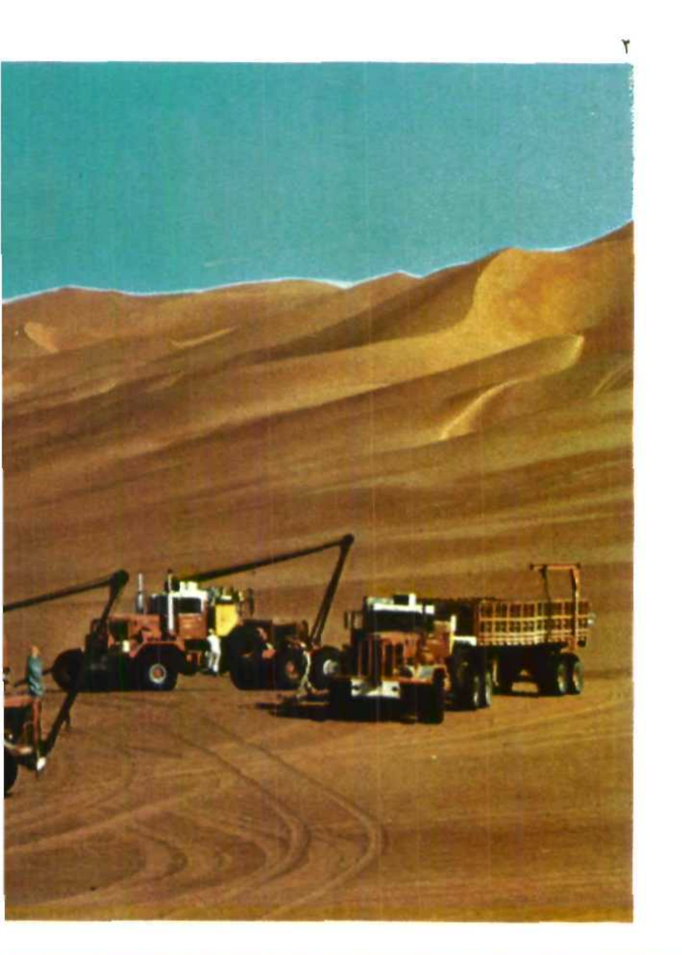
وقد اشترك خلال العام حوالي ٧٥٦ موظفاً ينتمون الى ٢٩ ادارة في دورات خاصة تهيئها أرامكو للموظفين الفنيين والمهنيين ، بالاضافة الى حوالي ١٦١ آخرين تلقوا دروساً بالمراسلة أو حضروا دورات قصيرة أو ندوات دراسية أو مؤتمرات في معاهد ومؤسسات داخل المملكة وخارجها .

وفي نهاية العام كان ثلاثة موظفين سعوديين ابتعثتهم الشركة إلى الولايات المتحدة ، يقومون بالتحضير لدراسة الماجستير وذلك في نطاق برنامج الدراسات العليا الذي أعدته الشركة للموظفين السعوديين . كما كان حوالي ٣٦٤ موظفاً سعودياً متفرغين للدراسة في المعاهد العلمية في المملكة وخارجها ، وقد تخرج منهم سبعة عشر بدرجة بكالوريوس . هذا بالاضافة الى ١٥٩ موظفاً كانوا يتلقون دراسات في كليات وجامعات في الولايات المتحدة ، وستة وعشرين في جامعة البترول والمعادن في الظهران وغيرها من الجامعات السعودية ، و ١٦٢ التحقوا ببرنامج تدريبية على الحرف في مصر . هذا وقد ارتفع عدد المشتركين في برنامج التدريب العالي بنسبة ٣٩ في المائة على ما كان عليه عام ١٩٧٥ .

واستمرت أرامكو في عام ١٩٧٦ في قبول طلاب الهندسة التطبيقية في جامعة البترول والمعادن للعمل لديها لمدة ٦ أشهر بعد اكمالهم السنة الثالثة . وقد بلغ عدد المشتركين في هذا البرنامج خلال العام ٧٠ طالباً .

وبلغ مجموع ما أنفقته الشركة على برامج العوائد للموظفين السعوديين خلال العام ٣٣٠٨٩١٧٥٠ ريالاً ، ويشمل هذا المبلغ ما دفعته الشركة كمكافآت في حالات التقاعد





وانهاء الخدمة . ومكافآت على المدخرات والخدمة المستمرة وكتعويض في حالات الوفاة والعجز ، وكذلك ما أنفقته على برنامج العناية الطبية والوقاية الصحية .

وبلغ مجموع ما قدمته الشركة لموظفيها السعوديين على شكل قروض ليحصلوا على بيوت لهم بموجب برنامج تملك البيوت منذ بدء تنفيذه في عام ١٩٥١ حتى نهاية العام ، بلغ أكثر من ٣٨١٧٥٧٥٠٠ ريال سعودي ، وبذلك أصبح عدد البيوت التي تملكها موظفو الشركة السعوديون ٨٩٦٢ بيتاً . هذا بالاضافة الى حوالي ٤٢٣٠٠٠٠٠ ريال سعودي أنفقتها الشركة في تحسين مناطق تملك البيوت .

أما في مجال الخدمات الطبية ، فقد بلغ مجموع الزيارات التي قام بها هؤلاء للعيادات الطبية في أرامكو خلال العام ٦٣٧٨٠٠ زيارة . هذا وقد شرعت الشركة في تنفيذ المرحلة الأولى من أعمال التوسعة لمركز الظهران الصحي ، كما

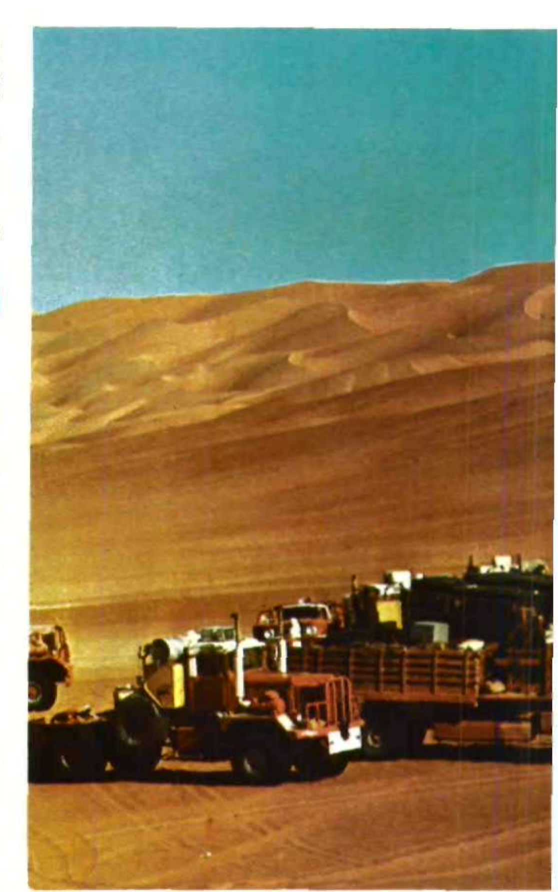




١ ـ وسعت أرامكو شبكات ترتيب المعلومات بالآلات الالكترونية لتسهيل وتعجيل الحصول على المعلومات .

٢ ـ جانب من احدى قوافل ارامكو البرية في الربع الخالي .

٣ ـ مستودع جديد من النوع المنفوخ (البالون) اقيم في زاوية احدى ساحات التخزين التابعة لأرامكو لتخزين اللوازم الطبية في درجات حرارة يمكن التحكم فيها



بدأ العمل في انشاء عيادة جديدة لطب الأسنان في الظهران ، وعيادة خارجية جديدة للمرضى في منطقة الأحساء . كذلك استمرت الأبحاث المتعلقة بأمراض الدم ودراسة مدى انتشار مرض السرطان محلياً .

أرامكو والمجتمع

واصلت أرامكو تقديم المساعدات الفنية الى ٧٥ من مؤسسات الأعمال السعودية شملت تقديم المعلومات اللازمة عن الانتاج بالنسبة لأصناف عديدة من المنتجات الصناعية والانشائية والاستهلاكية . ومن بين هذه المؤسسات أحد المستشفيات المحلية إذ كفلت أرامكو قرضاً حصل عليه لتوسيع مرافقه وتحسينها .

وعلى صعيد المساعدات الزراعية ، فقد واصل المزارعون ومنتجو الدواجن في المنطقة الشرقية الاستفادة من خبرة أرامكو الفنية من خلال برنامج المساعدات الزراعية . ونتيجة لذلك ارتفع الانتاج من الخضراوات خلال العام الى ١٢,٠٥ مليون كيلوغرام أي بزيادة مقدارها حوالي ٢٥٪ على انتاج عام ١٩٧٥ ، كما ارتفع انتاج البيض الى ٥٢,٩ مليون بيضة ، وانتاج دجاج الشواء الى ١,٩٤ مليون دجاجة . كذلك تمكنت مزرعة تفريخ محلية ، نتيجة للمساعدة الفنية ، من تزويد السوق المحلية بـ ٥٠ في المائة من احتياجاتها في السنة الأولى من بدء أعمالها .

ومن ناحية أخرى ، ازدادت مشتريات أرامكو من المواد المصنوعة محلياً والمستوردة ، بحيث بلغت قيمتها حوالي ٢٦٥٥٥٤٨٠٠٠ ريال سعودي . ومن بين المواد الجديدة التي أضافتها أرامكو خلال العام الى قائمة مشترياتها المتزايدة من المنتجات المحلية مواسير البلاستيك ومكيفات الهواء .



استطاعت ارامكو بفضل أحد برامجها التدريبية أن تعد في ستة اشهر ٢٥٧ من سائقي وعمال خدمة المعدات الثقيلة للعمل في اعداد مواقع الانشاء .

هذا وقد بلغ عدد المقاولات الكبيرة التي عهدت بها أرامكو الى مقاولين سعوديين للقيام بأعمال الانشاء وتقديم الخدمات الأخرى مقاولة بلغت قيمتها حوالي ٦٠١٣٦٥٠٠٠٠ ريال سعودي ، أي بزيادة ٥٨٠ في المائة على ما دفعته في العام المنصرم . وبذلك يكون مجموع ما أنفقته الشركة وموظفوها الأجانب في المملكة خلال العام في شراء بضائع وخدمات ، حوالي ٤٣١٨٤٣٥٢٠٠ ريال سعودي ، ولا يدخل في هذا المبلغ ما دفع الى الحكومة من ضرائب الشركات والريوع .

وعلى صعيد التبرعات ، بلغ مجموع ما تبرعت به أرامكو لأغراض تعليمية وخيرية وانسانية خلال العام ١١٨٧٩٢٥٠ ريالاً سعودياً . وتشمل هذه التبرعات جامعة البترول والمعادن ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة لأغراض تربوية ، ومختلف المدارس والمكتبات ومنظمات الشباب والجمعيات الخيرية في المملكة . كما واصلت أرامكو تقديم ٦٠ منحة دراسية للتعليم العالي خارج المملكة لطلاب وطالبات سعوديين تختارهم الحكومة . وقد بلغ مجموع ما أنفقته الشركة لهذا الغرض حتى نهاية العام ١٦٨٧٤١٧٥ ريالاً سعودياً .

ومن ناحية أخرى ، أكملت أرامكو بناء المدرستين الثالثة والخمسين والرابعة والخمسين من المدارس التي بنتها خلال الاثنتين والعشرين سنة الماضية ، كما شرعت الشركة في انشاء ثلاث مدارس أخرى جديدة . وتقوم الشركة بموجب اتفاقية معقودة مع الحكومة العربية السعودية ، بدفع تكاليف تشغيل هذه المدارس وصيانتها . وقد بلغ مجموع ما أنفق على هذا البرنامج منذ بدئه حتى نهاية العام حوالي ٣٠٣١٥٠٠٠٠ ريال سعودي ●

العوامل الفردية وأثرها في السلوك الإجرامي

بقلم: الدكتور أحمد عبد العزيز الالفي

في عرضنا للاتجاهات المختلفة في تفسير السلوك الاجرامي (١) تحدثنا عن الاتجاه البيولوجي والاتجاه النفسي كلاً على حدة . غير أنه في مجال البحث عن العوامل المؤثرة في هذا السلوك يتعذر الفصل بين العوامل البيولوجية والعوامل النفسية ، إذ يجمع بينها رباط وثيق لا يسمح بالفصل بينها في شخصية الفرد . فالانسان وحدة لا تتجزأ ، تعمل فيها العوامل الحيوية والنفسية وتتفاعل بشكل يستعصي فهمه على العلم حتى الآن ، وليس أدل على ذلك من أن الغريزة ، وهي المصدر الأول للنشاط والاتجاهات الفكرية والوجدانية لدى الانسان ، لا زالت طبيعتها غامضة ، ويقال عنها أنها ذات طبيعة بيولوجية نفسية مختلطة .

ويقصد بالعوامل الفردية تلك العوامل الكامنة في الفرد ذاته ، سواء كانت بيولوجية أو نفسية ، وهي العوامل التي تدخل في تكوينه الفطري – « Constitution » . وترجع الأصول الأولى للمدرسة الانثروبولوجية في علم الإجرام ، وهي المدرسة التي ترد الجريمة للتكوين الفطري في الفرد ، الى الأفكار والآراء التي قال بها الطبيب الايطالي « لومبروزو » والتي ضمنها في كتابه « الرجل المجرم » . فالمجرم بالولادة عند « لومبروزو » ذو تكوين وتشريح وسحنة خاصة فيها ارتداد الى الانسان البدائي ، ولذلك فقد أطلق على الصفات الجسدية والنفسية التي تميز المجرم بالولادة اسم وصمات الانحلال . ومن هذه الصفات عدم انتظام شكل الجمجمة وضخامة الفكين وبروز عظام الخد وضيق الجبهة وانحدارها وكثافة الحاجبين وكبر الأذنين وشذوذ سقف الحلق والأسنان . ومن الصفات النفسية ضعف الاحساس بالألم والميل للوشم وعنف المزاج وانعدام الشعور الخلقي وضعف القدرة على تكوين علاقات عاطفية ، ويشبه « لومبروزو » المجرم بالتكوين (الولادة) بالشخص المصاب بالصرع وبالمجرم المجنون .

وتعرضت نظرية « لومبروزو » عن المجرم بالتكوين لهجوم عنيف أثبت بطلانها . فقد تبين من البحوث التي أجراها « جورنج » الانجليزي على عدد كبير من المجرمين عدم توفر أي دليل على وجود اختلاف جسدي بين المجرمين وغير المجرمين . كما هاجم الطبيب الايطالي « بندا » فكرة « الارتداد – Atavism » التي يقيم عليها « لومبروزو » نظريته ، فليست الصفات النفسية المعيبة ملازمة للانسان البدائي ، وحتى اذا وجدت فقد يرجع وجودها الى ظروف البيئة غير المواتية التي لم تساعد على نمو القوى النفسية بطريقة سليمة . كما وجه النقد لبحوث « لومبروزو » من عدة نواح منهجية ، أبرزها أنه لم يقم بدراسات عن الخصائص الجسدية والنفسية للأشخاص الأسوياء حتى يمكن القول بأن المجرم بالتكوين يمثل نمطاً شاذاً .

على أنه أياً كانت وجاهة النقد الذي وجه لنظرية لومبروزو والذي أثبت بطلانها ، إلا أن ذلك لا يغض من قيمته كرائد من رواد علم الاجرام ، إذ كان له فضل توجيه الدراسات للمجرم ذاته بدلاً من الاقتصار على دراسة الجريمة كحقيقة قانونية .

الاتجاهات اللومبروزية الجديدة

لم يؤد بطلان نظرية «لومبروزو» الى انزواء الاتجاه الانثروبولوجي في علم الاجرام . فلا يزال عدد كبير من علماء الاجرام يؤمنون حتى اليوم بوجود تكوين فطري يضعف من قدرة الفرد على التوافق مع المجتمع . على أنهم لم يذهبوا مذهب «لومبروزو» في أن المجرم يمثل نموذجاً خاصاً ذا علامات بدنية ومزاجية معينة . ويمكن اعتبار كل اتجاه يربط السلوك الاجرامي بعوامل بيولوجية وصفات ولادية اتجاها نيولومبروزياً . ويشمل التكوين الفطري الخصائص البدنية والفسيولوجية والعقلية والمزاجية– Temperamental . وبذلك يضم هذا التكوين الملامح العامة والصفات التشريحية والجهاز العصبي المركزي والغدد الصماء .

ويعد « هوتون » الأستاذ بجامعة هارفارد من

(١) قافلة الزيت عدد محرم ١٣٩٥ هـ



أبرز أنصار الاتجاه البيولوجي الجديد ، وقد أجرى بحثاً ضخماً شمل أكثر من سبعة عشر ألف حالة من المجرمين وغير المجرمين في أمريكا مقارناً أبعادهم وصفاتهم البدنية . وخلص من بحثه الى أن المجرمين أقل من غيرهم في أبعادهم الجسدية وخاصة في وزن الجسم وحجمه وعرض الصدر ، كما يتميزون بالجبهة الضيقة المنحدرة والشفاه الرقيقة وشعر الرأس الكثيف والعنق الطويل النحيل والأكتاف المنحدرة . ويرى « هوتون » أن هذه « الدونية البدنية — Physical Inferiority » ترجع أساساً الى الوراثة وتقلل من قدرة الفرد على الاندماج في المجتمع الأمر الذي يدفعه للسلوك الاجرامي إلا أنه لا يدعي أن لهذه الصفات بذاتها قوة احداث السلوك الاجرامي مباشرة أو أنها وسيلة لتشخيص المجرمين . ويؤيد « هوتون » ما ذهب اليه بعض العلماء مثل « جورنج » من أن بعض الجرائم يغلب على مرتكبيها وجود صفات جسدية معينة . ومن ذلك ما يقال من أن الطويل النحيف أميل الى القتل وقطع الطريق ، والنحيف الضئيل الجسم أميل الى السرقة والسطو على البيوت ، والقصير المليء أميل الى الاغتصاب والجرائم الجنسية .

ولا تحظى بحوث « هوتون » و « جورنج » وما يجري مجراها باقتناع الباحثين الذين يتشككون في صحة الأساليب الاحصائية التي اتبعت فيها وفي سلامة اختيار العينة التي دار عليها البحث . وقد نقد « ساذرلند » بحوث « هوتون » نقداً منهجياً مريراً ، فعاب عليه أنه انتقى « مجموعته الضابطة — Control Group » انتقاء خاطئاً ، إذ ضمت عدداً من رجال الاطفاء والميليشيا وهم فوق المعدل من ناحية اللياقة البدنية . كما نفى القول بأن الدونية البدنية ترجع دائماً للوراثة ، فقد تكون نتيجة العيش في بيئة لا تعنى بالتغذية أو بالقواعد الصحية .

وقد هجر الاتجاه المعاصر أية محاولة للربط بين الصفات البدنية وبين السلوك الاجرامي ، وأخذ يوجه اهتمامه الى الصفات الفسيولوجية سواء كانت تتصل بالجهاز العصبي أو الغدد الصماء . ومن هذه النظريات ما يفسر الجريمة بتلف عضوي في المخ والجهاز العصبي ، ويرى البعض أن الاجرام العنيف يرجع الى خلل في قاعدة المخ التي يتركز فيها كثير من العمليات النفسية والحيوية . وجاء في التقرير الذي تقدم به الطبيب الايطالي « ديتوليو » الى المؤتمر الدولي الثاني لعلم الاجرام الذي عقد في باريس سنة ١٩٥٠ ان قاع الجمجمة ، وعلى الأخص الدماغ المتوسط ، له أهمية كبيرة في تحديد الشخصية والسلوك ، إذ أن اختلاله يحدث اضطرابات في لحاء المخ وخاصة الفصوص الجبهية منه التي تنسب اليها العمليات النفسية التي تتحكم في الارادة ومن ثم في السلوك .

ويذهب « شلاب » و « سميث » الامريكيان الى أن اختلال افرازات الغدد الصماء مسؤول عن السلوك الشاذ بما فيه السلوك الاجرامي . قولاً بأن هذا الاختلال يؤدي الى عجز بعض مجموعات من الخلايا عن أداء وظيفتها المعتادة ، وعندئذ يصبح المخ عاجزاً عن كبح جماح الانفعالات الناشئة عن هذا الاختلال . وهما يريان أن اضطراب افراز بعض الغدد الصماء يجعل الفرد خجولاً ومنطوياً على نفسه أو يجعله مندفعاً وجسوراً ، ولذلك فان طبيعة الشخص تعتمد الى حد كبير على نوع هذا الافراز .

ويرى الطبيب « بندا » أن الاضطراب في افراز الغدد لا يؤدي وحده إلى الجريمة ، فالهرمونات التي تفرزها الغدد تسبب فقط إهاجة الاستعدادات الأنانية والحيوانية ، كما يهيج الانسولين الشهية ، والادرينالين نزعة الاندفاع ، فهي عامل مساعد وليست عاملاً أساسياً . ولكي تؤدي هذه الاضطرابات في رأيه الى سلوك اجرامي لا بد أن تقترن باختلال في جوهر المخ .

ويربط بعض العلماء بين التخلف العقلي وبين السلوك الاجرامي . ويعني التخلف العقلي اعاقة النمو الطبيعي للقوى العقلية قبل اكتمالها ،

وقد يكون ولادياً وهو الجانب الأكبر من حالاته ، أو مكتسباً راجعاً الى مرض أو اصابة تحدث قبيل الميلاد أو أثناءه أو بعده بوقت قصير ، كإصابات الجنين عند الولادة أو نقص في الفيتامينات أو نقص في افراز الغدة الدرقية . وبالرغم من أن التخلف العقلي يرجع أساساً الى عوامل عضوية إلا أنه قد ينشأ أحياناً عن البيئة الوضيعة التي يعيش فيها الطفل بما يحيطها من سوء التغذية والفاقة واهمال التربية والتعليم .

الوراثة ودورها في التكوين الفطري

يرى علماء الوراثة أن الاختلاف الأصيل في الصفات بين أفراد النوع يرجع الى الاختلاف في طبيعة المورثات الموجودة في صبغيات نواة الخلية . فمن المعروف أن بدء حياة الجنين تحدث من اندماج الحيوان المنوي في البويضة وتحولهما الى خلية واحدة في لحظة الحمل ، وفي هذه اللحظة تتحدد الصفات الوراثية بما تحمله المورثات الموجودة في صبغيات نواة كل من الحيوان المنوي والبويضة ، وتأخذ الخلية المتحدة في الانقسام حتى تتكون منها خلايا الجسم كله ، ولكن كل خلية تظل نتيجة هذا الانقسام المنتظم حاملة لخصائص الخلية الأولى . والوراثة أخص من التكوين الفطري ، فهي تشمل فقط ما ينتقل من السلف الى الخلف من صفات تحتويها المورثات . غير أن التكوين الفطري يشمل الى جانب ذلك ما يقع للجنين من مؤثرات داخل الرحم وما يحدث من تغيرات أثناء نموه .

والواقع أن الحقائق المؤكدة عن الوراثة في النوع الانساني لا تزال قليلة . واذا كانت هناك دلائل على انتقال الصفات البدنية بالوراثة ، فان دورها في انتقال الصفات المعنوية والعقلية ما زال غامضاً . ويرجع ذلك الى صعوبة تحديد الدور الذي تلعبه العوامل البيئية والحضارية في ايجاد هذه الصفات ، ومن ثم صعوبة تحديد دور الوراثة .

التكوين الفطري وأهميته في السلوك الاجرامي

من الأقوال الشائعة لدى علماء الاجرام ان العوامل الاجتماعية تلعب دوراً أساسياً في تكوين الاجرام العرضي ، بينما تلعب العوامل الفردية هذا الدور في تشكيل سلوك المجرم العائد أو المعتاد على الاجرام . واذا كان هذا القول يجب أن يؤخذ — كما جاء في توصيات المؤتمر الدولي الثالث لعلم الاجرام الذي عقد في لندن سنة ١٩٥٥ — باعتباره يمثل اتجاهاً عاماً يحتمل الاستثناء ، فانه يدل على أهمية العوامل الفردية في نشوء ظاهرة العود والاعتياد على الاجرام . ومن المنطقي افتراض أن الشخص الذي يتعرض للعقوبة عدة مرات دون أن يقلع عن السلوك الاجرامي يعاني ضعفاً أو اضطراباً في شخصيته .

واذا كان « الاكلينيكيون » من رجال علم الاجرام يسلمون بأن العائدين لا يكونون فئة خاصة ، إلا أنهم يتفقون على أن شخصياتهم تعكس شذوذاً واضطراباً يحول دون قدرتهم على ايجاد علاقات فعالة ومستمرة مع الآخرين . وهذا الاضطراب الناتج من التربية الخاطئة ، قد يولد لديهم شعوراً عاماً بعدم الرضا وعدم الاحساس بأهمية العلاقات المشتركة . وقد يرجع الاضطراب في الشخصية ، اما الى عيوب عضوية أو وظيفية ، واما الى خلل في التكوين النفسي . ويلاحظ أن لدى العائدين زيادة كبيرة في نشاط الغرائز وردود أفعال عنيفة مردها مغالاة في التسبيب ونقص كلي في تقدير الزمن ، وحدة في الطباع ، وعدم القدرة على التعلق بشيء ، وتوقف حقيقي في النضج الانساني .

ومما يؤكد وجهة نظر هذه الدراسة التي أجراها « بيير كانات — Pierre Canat » على عدد من العائدين في فرنسا ، فقد تبين له أنهم يتميزون ببلادة في الاحساس وعدم اهتمام بالجريمة المرتكبة .

ويرى القائلون بأهمية التكوين الفردي أن العوامل الاجتماعية وحدها لا يمكن أن تجعل المجرم عائداً ، لأن هذه العوامل قد يخضع لها الكثيرون ولكن لا يتأثر بها إلا من لديه استعداد شخصي لذلك . وقد تبين من الدراسة التي قام بها « لاتينير — Leteneur » على حوالي أربعمائة من العائدين المودعين في سجون فرنسا أن نصفهم من المدمنين على الكحول ، وأن من بين هؤلاء ٣٠٪ ينتمون الى أسر تفشى فيها الادمان . وقد تأيدت هذه النتيجة بالبحث الذي أجراه « اكسنر » في ألمانيا . واذا كان الإدمان لا يعد في ذاته للعود سبباً الى الاجرام فإنه يدل على شخصية غير سوية تحاول الهروب من واقعها ومن الصراعات التي تنتابها . وقام « فري — Frey » السويسري المتخصص في جنوح الأحداث ، بدراسة على مائة وستين من المجرمين الأحداث ثم تتبع حالتهم بعد ذلك ، فتبين له أن أكثر من نصفهم مصاب بأمراض أو اضطرابات عقلية .

وقد دفع ارتفاع نسبة المصابين باضطرابات عقلية بين المجرمين العائدين من المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام الذي عقد في لاهاي سنة ١٩٦٠ الى المطالبة بأن تمتد المعاملة المقررة للشواذ فتشمل العائدين كذلك ، لأنهم مصابون باضطراب في قواهم الضابطة وفي قدرتهم على التكيف الى الحد الذي يؤدي الى تكرار ارتكابهم للجرائم .

وبعد أن نخلص من كل ما تقدم الى ان البحوث والدراسات التي دارت حول التكوين الفطري وصلته بالسلوك الاجرامي أثبتت أن الاتجاه الأول الذي كان يعتبر أن هناك فئة من المجرمين تمثل طرازاً خاصاً في النوع الانساني ، قد اندثر تقريباً . وأصبحت الدراسات اليوم تعنى ببيان العناصر التكوينية التي تهيىء الفرد للانزلاق في وهدة الجريمة اذا ما تعرض لعوامل خارجية تعادل أو تقل عما يتعرض له الآخرون عادة دون أن تدفعهم الى الجريمة ●

د . أحمد عبد العزيز الألفي — معهد الادارة العامة
الرياض

روضة الفن

للشاعر الراحل: انور العطار

أيا زَهَراتِ الفنِ حُيّيت من زهرِ   ويا عِطْرَها ما كان أبقاكِ من عِطْرْ
منحتُك قلبي واكتفيتُ بشدْوِه   وليس لدى العشاق سَلْوى سوى الشّعر
فغنّيتُ كالأطيار والفنّ روضتي   كأنّيَ أهْوى ما أُغنّي ولا أدري
حمامٌ على أيكٍ ونورٌ على ندَى   ونحْلٌ على زهرٍ ، وعودٌ على صدر
رفيفٌ من الأحلامِ في هَدْأةِ الدّجى.   يُهيْمِنُ كالأذكار في مَيْعَةِ الفجْر

° ° °

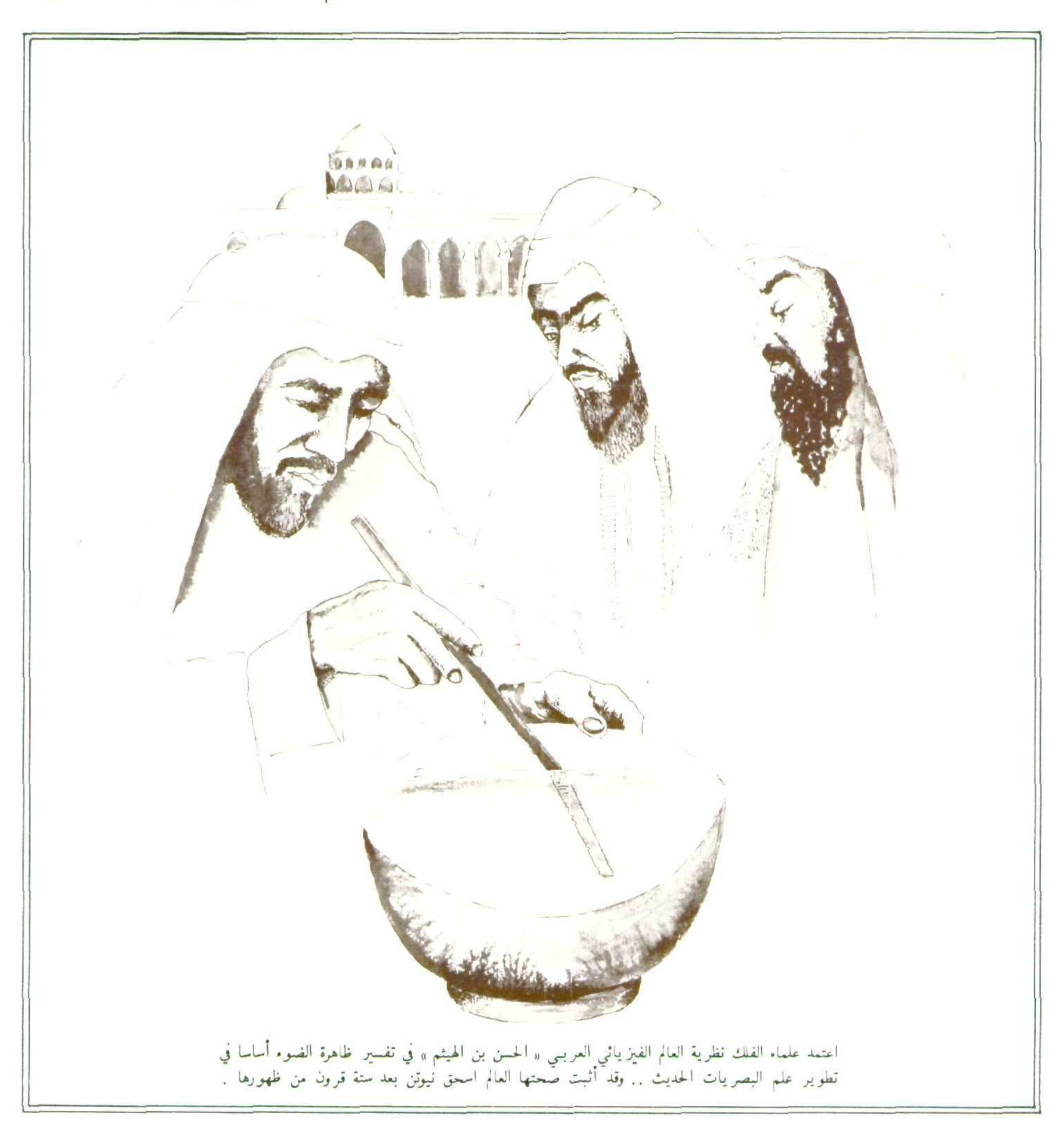
سلامٌ على الدنْيا فما هي بُغْيةٌ   اذا أنت لم ترفِقْ بذي الداءِ والعُسْر
وترسُم للدنيا سبيلا الى الهُدى   لعلّ جمالَ الرّوحِ يقْوَى على الشّر
تَزِينُك أخلاقٌ حِسانٌ كأنّها   خُلاصَةُ أزهارِ العدالة والطّهْر
يعيش بنو الدنيا بناب ومخلَب   وأنت بلا سهمٍ يُراشُ ولا ظُفر
تحوطُكُ أرواحٌ لِطافٌ حبيبة   فمن حُلَلٍ بيضٍ الى حُلَلٍ خُضْر
فليْتَ الفتى يلقى بأحلامِه الغِنَى   ويكسبُ من ألحانِه أعظم الأجْر
ويملأ أفياءَ الحياة مسرّةً   ويدفعُ عنها غائِلَ الغدْرِ والمكْر
يَرَى الخيْرَ كلّ الخير في قِسَم الوَرَى   فيَعْدل في حُلْوِ الحياة وفي المرّ
يطوفُ على الأكْوان حُلْماً مناجياً   وينْسَى الرّدى المحتوم في ظلْمة القَبر
تثورُ به الأشواقُ مسنونةَ الشّبا   وَيفْريه من أيامه الغُبْر ما يَفْري
فيهتفُ بالنّجوى ويركنُ للهَوى   ويغْرَقُ في يمّ من الظنّ والذّكر
فيُصْغي اليه الليلُ مسْتَأني الخُطا   تمرّدَ لا يسْري وأقْبَل يستَذْري
اذا حنّ سال الشعرُ لحناً مسلْسَلا   وظلّت عيونُ الحبِ من قلبه تجْري
كأنّ على قيثاره روحُ بلْبُل   حَبيس يمنّي النّفس بالدّوْح والوَكْر
فكم عاش مفتوناً وكم عاش فاتِناً   وكم ذاب شعراً ليس تلْقاه في سِفْر

° ° °

اذا البدْرُ لم ترسُمْه ألوانُ شاعرٍ   ولم تَسْقه حُسْناً فما هو بالبَدْر
وما الحبّ لو لم تجْلُه كفّ بارعٍ   سِوَى الذّلّ والهمّ المبرّح والخُسْر
وما القلبُ ما هذا الصّراعُ الذي به   وهل هو إلاّ العَفْرُ عاد الى العفْر
هو الفنّ قد ألقى على الكونِ ظِلّه   فأشْرقَ وجْهُ الأرْضِ بالمُمتع المُغْري

تأثير الرّياضيين المسْلمين على المعارف الشّرقية والغربيّة

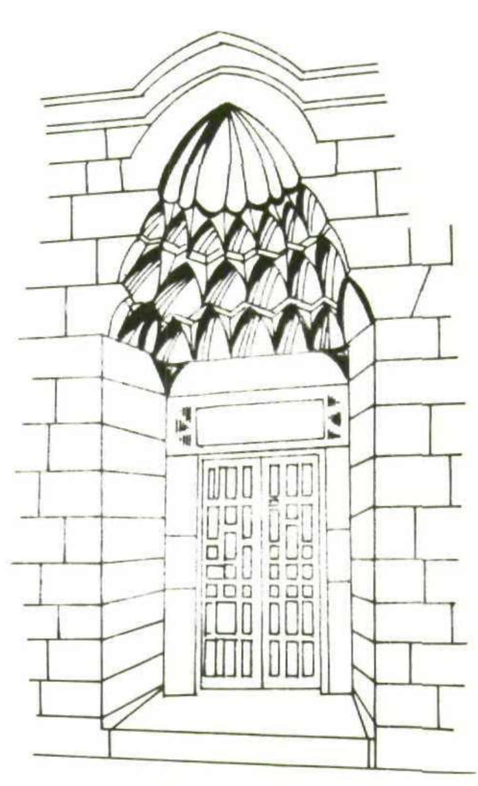
بقلم: الدكتور علي عبد الله الدفاع



اعتمد علماء الفلك نظرية العالم الفيزيائي العربي «الحسن بن الهيثم» في تفسير ظاهرة الضوء أساسا في تطوير علم البصريات الحديث .. وقد أثبت صحتها العالم اسحق نيوتن بعد ستة قرون من ظهورها .

من أهم فترات التاريخ ، فترة نهوض الحضارة الاسلامية خلال عصور أوروبا المظلمة . فمنذ القرن الأول والسادس الهجريين ، أثرت الحضارة الاسلامية على المعارف الشرقية والغربية . وبلغ هذا التأثير هذه السيطرة أقصاه في القرن الرابع الهجري . وسنتحدث هنا باختصار عن تاريخ ابتداء العلوم الاسلامية ونموها في تلك الفترة .

وجه المسلمون نشاطاتهم الفكرية الى العلوم والرياضيات خلال السنوات الأولى من صدر الاسلام . وكان وراء اهتمام المسلمين بهذه المواضيع أساس تحديد المواقيت . فباستخدام الهندسة استطاع المسلمون تحديد اتجاه القبلة . . وباستخدام الفلك استطاعوا رؤية هلال شهر رمضان المبارك ، ولم يقتصر المسلمون في تطبيق العلوم التي طوروها على أغراض العبادة بل استخدموها أيضاً في كل مافيه خير البشرية . ولقد كان القرآن الكريم الذي حث الانسان على النظر في ملكوت السموات والأرض ، القوة الدافعة وراء هذه الأبحاث العلمية . وكذلك حث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على طلب العلم من المهد الى اللحد حتى لو استدعى ذلك السفر الى الصين . ومن سلك طريقاً يلتمس علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة . وهكذا فان العرب بدافع مبادىء الاسلام السامية تحولوا الى أمة معظم أجزاء فتحت العالم في أقصر مدة . ففي القرون الهجرية الستة الأولى ، انتشرت دور الاسلام من الهند الى الأندلس وكانت بغداد وقرطبة مركز الخلافة والبحث العلمي . ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين القرنين الذهبيين للرياضيين المسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير لحفظهم التراث القديم وتنميته ، ولابتكاراتهم الجليلة . وفي الفترة نفسها كانت أوروبا تعيش في عصورها المظلمة ، فأصيبت دراسة الرياضيات بالانحطاط هناك . ولقد أكدت الأبحاث الحديثة المدى الكبير الذي يدين به العالم للعلماء المسلمين الذين حثوا على نمو المعارف بينما كانت أوروبا تغرق في ظلام دامس . وحتى الرياضيات الاغريقية لم تصل إلى العالم المعاصر إلا عن طريق المصادر الاسلامية ، كما أن الترجمات اللاتينية القديمة للمخطوطات الاغريقية غالباً ما تعتمد على مؤلفات اسلامية أكثر من اعتمادها على المؤلفات الاغريقية الأصلية . لذلك فقد انتقل علم الحساب وعلم الفلك الاغريقيان الى



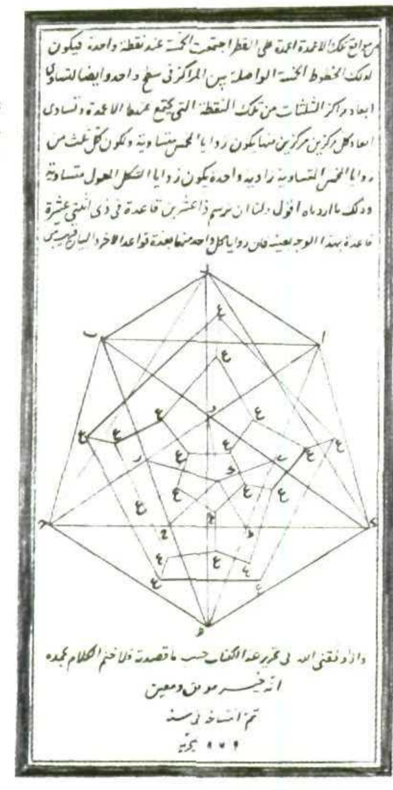
نموذج من المقرنصات الاسلامية التي اعتمدت الهندسة أساساً لها.

أوروبا عن طريق المسلمين . وهكذا نرى أن خدمة المسلمين لعلم الرياضيات لم تقتصر على حفظ ونقل ما قامت به الأمم السابقة ، بل شملت أيضاً اسهامات هائلة في حقول العلم المتنوعة .

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء المسلمين بالعلوم والمعارف وتشجيعهم لها استدعاؤهم للعلماء البارزين ومساندة أبحاثهم . ولقد تُرجم كثير من أعمال علماء الهنود والاغريق في الفلك والرياضيات الى اللغة العربية ، ثم ترجمها الأوربيون من مصادرها العربية الى اللغة اللاتينية . كما أصبحت مدينة بغداد مركزاً للعلوم والمعارف في ظل الخلافة الاسلامية . ولقد أسس الخليفة العباسي المأمون « وهو عالم وفيلسوف » بيت الحكمة المشهور وهو عبارة عن مكتبة جامعة ومجمع علمي وأدبي ودار للترجمة ، ويعتبر أهم معهد تربوي منذ تأسيس متحف الاسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد . وقد أمر الخليفة المأمون ، الذي عرف باهتمامه وتشجيعه للعلوم والمترجمين ، أمر بترجمة جميع مؤلفات الاغريق الى العربية . وبفضل هذا الاهتمام انتقلت مؤلفات بطليموس واقليدس وأرسطو وغيرهم ، من بغداد الى الجامعات الاسلامية حتى التي في البلاد البعيدة منها مثل صقلية والأندلس .

كما انتقلت المعارف العلمية الى أوروبا في العصور الوسطى عن طريق هذه الجامعات الأندلسية التي أسسها المسلمون .

ان فترة العصور المظلمة بالنسبة لأوروبا تعتبر العصر الذهبي الاسلامي في تاريخ الرياضيات . ولقد تنافس الأمراء والعلماء والشعراء والأغنياء في الأشراف على ترجمة أعمال القدماء العلمية وعلى كتابة مؤلفات حديثة . واستقطبوا لهذا الغرض العلماء المسلمين وغير المسلمين ، الذين أسهموا في الكتابة باللغة العربية التي كانت لغة الحضارة بصفتها لغة القرآن الكريم . ويقول البروفسور « جورج سارتون » في مقالة نشرت في مجلة « ازيس » بعنوان « الفلسفة الانسانية الحديثة » : ان من الانصاف في أي دراسة لتطوير الفكر الانساني ، التركيز على المعارف والمكتشفات الاسلامية العظيمة . وفي حياته العلمية البارزة يقول « سارتون » : يمكننا التحدث عن المعجزة العربية بالقول ان المقدرة على ابداع حضارة عالمية وموسوعية في حجمها في أقل من قرنين من الزمان ، شيء يمكن وصفه ولكن لا يمكن تفسيره كاملاً .



جزء من التعليق الذي قدمه العالم المسلم الطوسي عن عنصر الشكل الخماسي التي وضعها اقليدس.

كان ولاة المسلمين يحرصون على تشجيع العلوم وتقدير العلماء .



ولقد بدأ الكاتب في هذه المقالة بمحاولة فهم المقدرة العلمية الاسلامية فهماً واضحاً ، وهو يرى أنه من المفيد التنسيق بين اسهام المسلمين في الرياضيات في هذه الفترة ، وتفسير النتائج للحصول على أساس للدراسات الرياضية والأبحاث في المستقبل . ومن البديهي أن الرياضيات وأي علم آخر ، تصبح أكثر واقعية وحيوية وتصبح قيمتها أكثر وضوحاً من خلال دراستها التاريخية . فتاريخ الرياضيات ، في الحقيقة ، هو الهيكل الرئيسي لتاريخ الحضارة سواء كان اهتمامنا بصورة رئيسية بالناحية الفلسفية أو الاجتماعية ، طالما أننا ندرك أن معرفتنا بالانسان لا يمكن أن تكون كاملة وشاملة إلا اذا ربطنا المعلومات التاريخية بالمعلومات العلمية . ان تاريخ الرياضيات ، بصفة عامة ، هو حجر الأساس للبناء التعليمي كله . وقد لاحظ البروفسور « جورج ميلر » في كتابه « مقدمة تاريخية للرياضيات » أن تاريخ الرياضيات هو العلم الوحيد الذي يمتلك جزءاً واضحاً من الكمال وان نتائج مثيرة أثبتت منذ ٢٠٠٠ سنة بنفس الطرق الفكرية المثبتة اليوم . لذلك فان هذا التاريخ مفيد في توجيه الاهتمام نحو القيمة الثابتة للمآثر التعليمية .

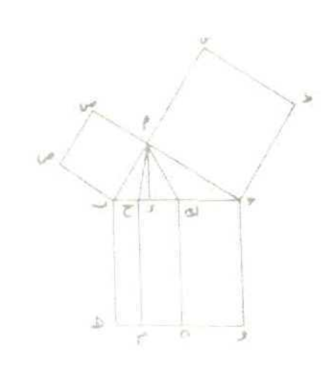
ويمكن القول باختصار ان العصر الذهبي للفكر الاسلامي وارتقاء الحركة العلمية الاسلامية بصفة عامة ما بين القرنين الأول والسادس الهجريين يتضح من الجدول الآتي :

القرن	الأحداث	نتيجة الأحداث
الأول	ميلاد الرسول (ص)	البعثة النبوية
الثاني والثالث	انتشار الاسلام	فترة تجمع للأمة الاسلامية
الرابع	النهضة الاسلامية	نهضة العلوم الاسلامية
الخامس	العصر الذهبي للفكر الاسلامي	تشجيع العلوم الاسلامية النظرية والتطبيقية
السادس والسابع	نقطة تحول نحو نهضة أوروبية	انحدار الامبراطورية الاسلامية وارتقاء الثقافة الغربية

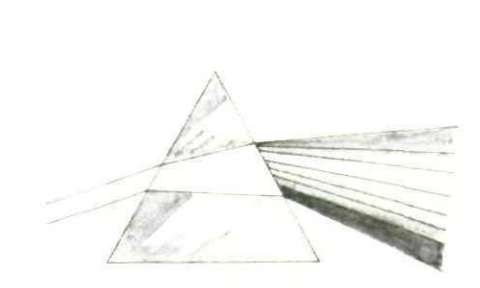
غير أن مآثر المسلمين في علم الرياضيات التي لعبت دوراً عظيماً في انماء الحضارة الانسانية لم تعط حقها ، لذلك فقد ارتأينا أن نقدم هنا عرضاً مختصراً عن هذه المآثر العلمية الجليلة . وبهذا الصدد يقول « كركومر » في مقالة نشرت له في مجلة مدرس الرياضيات بعنوان « منزل الرياضيات في الهند وفي البلاد العربية خلال العصور المظلمة الأوروبية » : لا يوجد أي عمل هام من أعمال العصر الذهبي الاغريقي الا وترجمه العرب وفهموه فهماً جيداً . والجدير بالذكر أن مدارس العلوم الاسلامية بدأت تنتشر بتسلسل في بغداد ، والقاهرة ، وقرطبة ، وصقلية عند انتهاء دور المدارس الرومانية والاغريقية . وقد حمل المهاجرون الاغريق الى القسطنطينية مؤلفات الفلاسفة الاغريق فترجمها طلبة العلم المسلمون الى العربية . ويقول البروفسور « جورج سارتون » في كتابه « حضارة الثقافة الغربية في الشرق الأوسط » : حاول بعض المؤرخين التقليل من أهمية المآثر الجليلة في الحضارة العربية وأفكار الأصالة فيها ، والادعاء بأن العرب مجرد مقلدين . ان حكماً كهذا خاطيء في جملته . فقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة بهم في حقل الرياضيات . كما أنجزوا بعض الابتكارات العلمية التي رفعت الرياضيات الى المستوى الذي يفوق بكثير المستوى الذي بلغه الاغريق ، ولا سيما في علمي الجبر وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم . هذا ولم تقتصر مآثر المسلمين على علم الرياضيات فقط بل امتدت الى الطب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، والفيزياء ،

والصيدلة ، والزراعة ، وغيرها من العلوم المتنوعة .

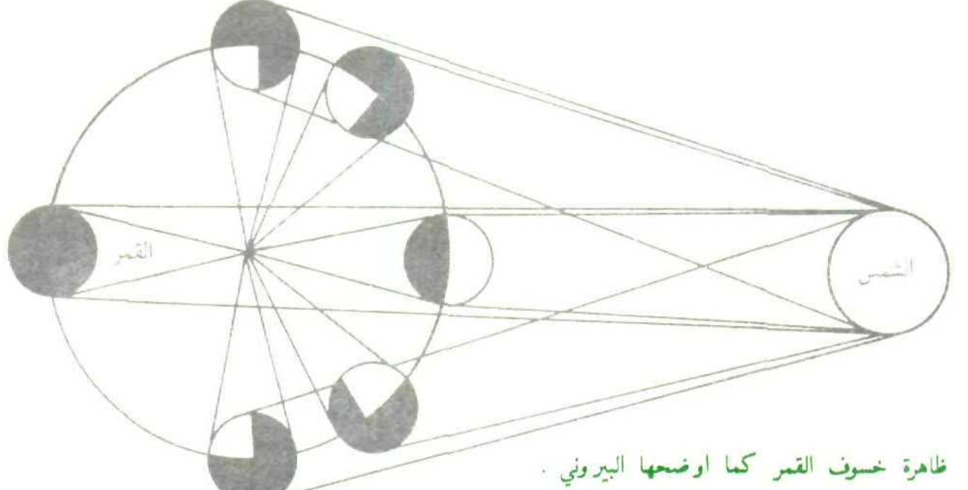
لقد عرف علماء المسلمين أن للثقافة الرياضيـة أهمية بالغة في ماضي المنجزات البشرية ، وحاضرها ومستقبلها ، وان الرياضيات كانت في عصر المصريين القـدماء والرومان أداة لحل المشاكل اليومية ، وان دراسة تاريخ أي ثقافة دون دراسة لتطور الرياضيات فيها تعطي صورة ناقصة ومشوهة . لهذا ركز علماء المسلمين في بداية الأمر على علم الرياضيات . ويقول البروفسور « اريك بل » في كتابه « الرياضيات وتطوراتها » : في جميع العصور التاريخية كافحت الأمم المتحضرة من أجل علم الرياضيات . ومهما كان مصدر الرياضيات فانها تنحدر الينا من أحد نبعين رئيسين سواء من ناحية عددها أو شكلها . ويمثل النبع الأول علم الحساب والجبر ، ويمثل النبع الثاني علم الهندسة . بينما يقول « جورج سارتون » في كتابه « الأجنحة الستة » : اننا اذا أردنا أن نفهم تاريخ البشرية فيجب علينا أن نركز اهتمامنا على العناصر التي أدت الى تطور الرياضيات . يجب أن يكون تاريخ الرياضيات نواة أي تاريخ للأحداث البشرية . وقد ركز الرياضيون المسلمون جهودهم على ترجمة الأعمال الرياضية الاغريقية والهندية ، وأسهموا في تطوير الحضارة التي بلغت قمتها لديهم في العصور المظلمة لأوروبا .



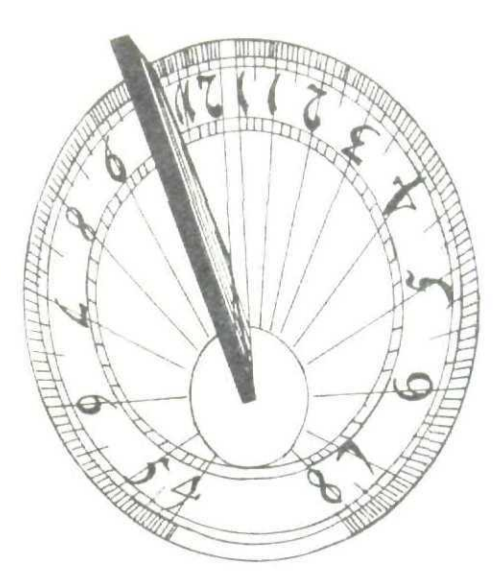
اعطى ثابت بن قرة جزءاً كبيراً من وقته للتطوير والتجديد في نظرية فيثاغورس بعلم الرياضيات .



رسم يمثل التحليل الضوئي الذي ادرك العلماء المسلمون اهميته في علم البصريات .



ظاهرة خسوف القمر كما اوضحها البيروني .



الساعة الشمسية .

إن تاريخ الرياضيات مهم كمأثرة ثمينة لتاريخ الحضارة . كما أن التقدم البشري مطابق تماماً للفكر العلمي والنتائج الرياضية وسجل موثوق به للتقدم . يقول المؤلف « هارلو شابلي » في كتابه « الثورة الجديدة في العلوم » : ان تأثير الرياضيات على الحضارة العربية كان كبيراً ، ويظهر هذا من العلاقة بين الحساب ، والجبر ، والهندسة ، والفلسفة والدين ، والعلوم الاجتماعية . ويقول الكاتب «رام لاندو » في كتابه « مآثر العرب في الحضارة » : ان المسلمين قدموا كثيراً من الابتكارات في حقل الرياضيات ، ومع ذلك فان معظم الامريكيين والأوروبيين لم يعودوا يتذكرون من أي ينبوع اكتسب العالم المسيحي الأدوات التي لا يمكن أن تصل الحضارة الغربية الى مستواها الحالي إلا بها .

وأضاف المؤلف « ديرك سترويك » في كتابه « مختصر تاريخ الرياضيات » يقول : ان العلماء العرب جمعوا التراث الاغريقي وترجموه الى اللغة العربية بأمانة واخلاص ، مثل أعمال أبولونيوس ، وارخميدس ، واقليدس ، وبطليموس وغيرهم . ان الاتفاق العام في جميع أنحاء المعمورة على اسم « المجسطي » وهو اسم مجموعة أعمال بطليموس الكبيرة انما يدل على مدى تأثير الترجمة العربية في بلاد الغرب .

كان الفلكيون العرب مهتمين اهتماماً كبيراً بالرياضيات وخاصة بحساب المثلثات ، وان كلمة « Sinus » ترجمة لاتينية للكلمة العربية « جيب » وتقابل « الجيب » نصف الوتر بينما استخدمها بطليموس لتدل على الوتر كله وتصورها أطوالاً وليست أعداداً . ويؤكد البروفسور « جورج سارتون » في كتابه « الدليل لتاريخ العلوم » انه في شرح الثقافة الغربية غالباً ما تهمل تطويرات الهنود والصينيين للرياضيات ، ولكن اهمال التطويرات العربية قد يقوض مفاهيم كاملة ويجعلها غامضة . لقد كانت اللغة العربية اللغة العالمية للرياضيات الى درجة لم تصلها أي لغة أخرى سوى الاغريقية . وكانت الثقافة الاسلامية ولا زالت الى حد ما ، الجسر الرئيسي بين الشرق والغرب ، أما الثقافة اللاتينية فغربية والثقافة الصينية شرقية ●

د . علي عبدالله الدفاع
جامعة البترول والمعادن — الظهران

خليل الهنداوي

نصف

قليل من الأدباء المحدثين ما أصاب لشهرة والمعرفة التي وصل اليها الأديب الراحل « خليل الهنداوي » . فقد كانت حياته حافلة بالنشاط والحيوية مزيجاً من الثقافات المنوعة قديمها وحديثها ، متنوع العطاءات الفكرية من قصة وشعر ومسرح وترجمة ، إلى فنون اخرى أكثر حداثة وأشد التصاقاً بالناس كالفن الاذاعي والتلفزيوني .

فقد ولد « خليل الهنداوي » في صيدا عام ١٩٠٦ ، ومارس التعليم حينما أصبح عمره سبعة عشر عاماً ، فكان ينتقل في مدارس القرى اللبنانية ، رفيقه الكتاب وصديقه القلم ، وظل هذا الرفيق والصديق يلازمانه حتى آخر أيام حياته في عام ١٩٧٦ .

ثم انتقل من لبنان الى سورية عام ١٩٢٨ ، وارتضى بأن يكون بعيداً عن الأضواء في تلك المدينة النائية التي تتكيء على شاطيء الفرات « دير الزور » ، وفيها استكمل مطالعاته وثقافته وكتاباته الأولى التي وجدت طريقها يسيرة الى مجلات «الرسالة ،والمقتطف ، والثقافة » وغيرها . . وكانت تلك المجلات منارة للمثقفين العرب في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وفي عام ١٩٣٩ نقل الى مدينة « حلب » التي ظل فيها مستقراً حتى آخر أيامه ، غير أنه لم يبق فيها لم يبارحها ، بل خرج منها مسافراً وسائحاً يجوب أنحاء العالم ويتعرف وجهاً لوجه على ثقافات الأمم والشعوب ، فزار دول اوربا جميعاً ، وارجاء الوطن العربي من خليجه الى محيطه ثم الولايات المتحدة الأمريكية .

امتاز « خليل الهنداوي » بعطائه المتعدد وبانتشاره على أوسع رقعة في مجلات الوطن العربي والمهجري ، ولا يكاد احد من المثقفين العرب لا يذكر الهنداوي او مقالاته او ترجماته أو مؤلفاته المدرسية والأدبية ، فمن لم يقرأ له قصة ، قرأ مسرحية ، أو مقالاً ، أو نقداً أدبياً ، او ترجمة ، أو قصيدة ، وفي أبعد الأحوال استمع الى قصة من قصصه الاذاعية المسلسلة هنا او هناك .



ولم يؤثر هذا العطاء الفني المتعدد لدى « الهنداوي » على ناحية لحساب الأخرى بل كان بارعاً في كلها معاً ، وان الدارس المتأمل المتأني يجد « الهنداوي » بارعاً في كل هذه الفنون الأدبية معاً . فقد كان شاعراً مطبوعاً ، يمتاز بأسلوب رشيق وعبارة راقصة تميس طرباً ، تتجدد من بيت لبيت ومن معنى لآخر ، فها هو ذا يقول في قصيدة « ظلال بعلبك » :

هـل أنت ذابلـة العينين مـن سهر
هـل انت مغبرة الأقـدام من سفر
اين الليالي التي عجت مجامـرهـا
فلا يبيت الدجى الا علـى شرر
أغمض عيونـك تبصر كل عالمها
يمور حولك مـلء السمع والبصر

كأنني وشموع المعبـد اتقـدت
في لاهب من ليالي العيـد مستعر
كأنمـا القوم قد هبوا على عجل
ما بين مؤتـزر أو نصف مؤتزر
كأنني والحواريـات قـد رقصت
موشحات بنـور الشمس والقمـر

ان كتابات « الهنداوي » في كل لون من الألوان الأدبية ، تتحرك خلفها فكرة منطقية أو فلسفية ، تنبع من صميم الواقع ولا تطفو على سطح الفكر دون جذر أو أصول ، فهو مقنع إلى أبعد حدود الاقناع فيما يكتب لأنه موضوعي أولاً وواقعي في الدرجة الثانية . ففي مقاله عن « الحرية » يقول :

« الحرية أغنية اليوم ، كما كانت أغنية الأمس ، وستكون أغنية الغد ، لأنها أغنية الانسان الخالدة . وقد تختلف الحرية التي يناضل من أجلها الانسان ،ولكنها تبقى دائماً « الحرية » ، فمن الناس من يناضل لحرية نفسه وحرية عقله ، ومن الناس من يكافح لحرية الآخرين .

انني أؤمن بأن الانسان من حقه أن يفكر بحرية ، ويعبر عما يريده بحرية ، وأن يدافع عن فكرته ، ويحاول أن ينشرها بعزيمته ، ولكنني لا أؤمن بأن يحاول عمل ذلك بالجدل السفيه ، والتحامل الوضيع ، والاتهام الرخيص ، ثم لا يفهم فكرته الا فهماً ضيقاً محدوداً ، ناسياً ان العلاقة الوطنية بينه وبين اخوانه هي فوق كل شيء ، لأن الوطن وحده يبقى ، بينما الأفكار تتحول وتتبدل ، وما تجده اليوم صحيحاً يتجاوب مع هدى نفسك قد لا يكون غداً الا سراباً خادعاً . »

كل من عرف « الهنداوي » . . عجب من ذلك الشباب الدائم ، والحيوية الدفاقة ، والابتسامة التي لا تعرف الغروب عن وجهه ، والضحكة الدائمة والمجلجلة ، والنضارة المتألقة .

...ـرن من العطاء للحياة بقلم : الأستاذ عدنان الداعوق

ويتساءل كل من عرفه عن هذا السر الذي أبقاه شاباً حتى آخر أيام حياته ، ولكننا اليوم حينما نستعيد قراءة مقاله « أنا مؤمن بالحياة » نكتشف سر ذلك الشباب المتجدد دائماً وأبداً .

ففي مقاله يقول :

« انني لا استطيع بأن اعتقد انني قد تجاوزت الأربعين ، وأكاد أشرف على الخمسين دون ان يشتعل رأسي شيباً ، أو تشيخ نفسي تحت وطأة تكاليف الحياة ، بل لا يكاد اخواني يعتقدون ذلك ، لأنهم يحسدونني على فتوة نفسي ومرح روحي ، وهم الذين لا يزالون شباناً بأعمارهم كهولاً بأنفسهم وأفكارهم . لقد حرصت على أن أحفظ لنفسي فتوة النفس التي لا تتأثر بالأعوام فجعلت عواطفي تتجدد دائماً ، وأفكاري تقبل على الحياة متطورة بتطورها ، وآمنت بأن الحياة جديرة بالحياة .

فأنا مؤمن بالصداقة والحب والعدالة ، أقابل العداوة بالمحبة فأقتلها ، والحقد بالتسامح فأصرعه ، يتردد في نفسي دائماً قسم الشاعر « شيلي » : « أقسم بأن أكون عاقلاً ، عادلاً ، حراً ، ما استطعت الى ذلك سبيلاً » . أجل ، لكم رأيت في حياتي حقاً مخذولاً ، وبريئاً مهضوماً ، ولكنني اعتقدت دائماً بأن الجمال يغلب على القبح ، والعداله تنتصر على الظلم .

لقد ساورتني الأحزان ، وخشيت أن تحني رأسي ، وها أنا لا أزال أحفظ في أغوار عيني اللامعتين كل لمعان فتوتي ، لقد اخترت طريق الحياة ، وفيها مزالق خطرة ومشاكل معقدة ، ولكنها لم تخل من منعطفات جميلة ولحظات حلوة ومشاهدات رائعة .

فيا من تقومون اليوم بهذا المطاف ، أقول لكم بثقة وايمان : لتكن لكم الثقة في الحياة . . فان الحياة قد تكون حيناً قاسية ، وحيناً مؤلمة ، ولكنني وجدتها — برغم كرائهها — جميلة فتانة . »

كان « الهنداوي » في حياته مثالاً رائعاً للحب ، فكل من عرفه كان يجد عنده الأذن الصاغية ، والنصح والرشاد ، واليد الحانية التي تظل ممسكة به الى ان يوصله الى شاطيء الأمان ، وكل تلميذ أو طالب كان يحس ان « الهنداوي » الاستاذ ، يفتح أمامه مغاليق النفس ، وصفاء القلب ، ونصاعة الفكر لينهل منه ما يشاء دونما حرج أو كتمان .

وكل صديق كان يجد في مودته العون والمساعدة في تكتم شديد كأنما هو يسكن قلبه الكبير لا يشاركه أحد في مسكنه ومأواه .

وفي مقال عن « المحبة » يقول « الهنداوي » .

« كم ترددت كلمة المحبة على أفواه الأنبياء والمصلحين ، وكم تكررت حروفها على أقلام ذوي الانسانية . . ومع ذلك لا تزال بعيدة عن قلوب الناس ، فالمحبة لا تطلب الينا أن نتراخى في الدفاع عن أفكارنا ، أو مصالحنا الكبرى المرتبطة بنا ، ولكنها تطلب الينا ان ندافع عنها دون أن نبغض الآخرين الذين يخالفوننا في أفكارنا . أليست المحبة تحترم الانسانية في الغني والقوي والقاسي والغيور ؟

ان المحبة لا تيأس ولا تتعب ولا ترتد عن تجاربها الانسانية ، وحتى الانسان الذي آمن بها ، وعمل عليها حياته ، ومات خاسراً فيها يترك لمن بعده مثلاً خالداً من المحبة لا يموت .

وأسألك هل أحببت . ؟

هل أحببت بمعنى الحب الواسع الكبير الذي يغمر الكائنات كلها بعطفه ، هذا الحب الذي يجعلك تقبل على بيتك كأنه جنتك ، وتنظر الى الغير كجزء منك يفرحك فرحه ويحزنك حزنه . هذا الحب الذي يجعلك تعطف على الكبير وتحدب على الصغير لأنك ترى نفسك فيهما ، وتراهما في نفسك ، وأخيراً هل قاومت البغض والحقد في نفسك ، وهل استطعت أن تقاوم أهواءها الباطلة ؟ »

كان « الهنداوي » اضافة الى قلمه العفيف ونشاطه الأدبي المتقد ، متحدثاً لبقاً وخطيباً مفوهاً ، سريع البديهة ، لماح الذهن ، تتلاحق الأفكار لديه وتسبق الكلمات اذا ما وقف متحدثاً مسترسلاً . وكلمة الحق تقال في حياة هذا الأديب الانسان ، ان كل من أراد أن يتابع أدبه ونشاطه الفكري ، سيلقى من العناء ما يلقى ، لكثرة ما كتب وألف في مختلف الفنون الأدبية والفكرية والفنية ، ولتلك المؤلفات التي أثرى بها المكتبة العربية . فهو لم يتوقف منذ عام ١٩٣٢ حتى يوم وفاته في عام ١٩٧٦ عن العطاء والتأليف ، فخلف وراءه من المطبوعات ما يزيد على الثمانين مؤلفاً من بينها مجلدات ضخمة هي « أيام العرب ، في عشرة أجزاء و« مختارات الأغاني » من خمسة أجزاء ، اضافة الى ترجمات وسير لأشهر الأدباء والمفكرين العرب والأجانب ، ومجموعات من القصص والروايات والدواوين الشعرية .

وعلى الرغم من أن « الهنداوي » لم يتوقف يوماً عن الكتابة والنشر ، فقد ترك بعد وفاته عدداً ضخماً من المؤلفات والكتب النفيسة المخطوطة .

فأي حياة غنية ثرة عاشها هذا الانسان الذي أعطى الفكر والأدب والفن جل حياته ، لتبقى الأجيال بعد مماته ممسكة بذكراه ، متطلعة الى عالم رحب مليء بالحب والعطاء ، كان يعيش فيه ملء السمع والبصر ، وحديث الناس خلال نصف قرن من الزمن لم يخلص فيها الا للمحبة . . والتسامح . . والفن ●

عدنان الداعوق — حمص

قصة مستوحاة من الوسط المصري

هذه القلوب

بقلم: السيدة جاذبية صدقي

استكانت القرية تجثم حول سيقان النخيل، تتكاثف الأكواخ ويزاحم بعضها بعضاً في ألفة وايناس. يسودها صمت متطلع، كأنما تهمس اليها النخلات العجائز بقصة مثيرة. وكان عصر ذلك اليوم قائظاً لا أثر لنسمة فيه. لم تكن هناك سحابة واحدة تؤنس العين، حتى العصافير لاذت بالفروع والأغصان الدانية تستظل بالأوراق المتكاثفة.

جلست «سنية» زوج خفير القرية أمام باب كوخها ورأسها يغالبه النعاس. وكانت دواجنها تمرح حولها تنبش الأرض او تنفض التراب بحثاً عن حبة قمح أو ذرة. فاذا سمعتها «سنية» تصيح ضربت الأرض بعود من الحطب الى جانبها وهي تردد بصوت نائم:

«هش... ش... ش»

ثم تهوم برأسها ثانية وتروح في شبه غيبوبة لكنها لم تغفل لحظة عن الحدأة العجوز التي تحوم فوق الرؤوس. فقد سقتها كأساً مريرة بالأمس القريب اذ اختطفت من فوق السطح فرخ بط سميناً كان عزيزاً على «سنية».. واغضبت زوجها «عبد الرحيم» الخفير منها حتى صاح غاضباً:

«يا لك من امرأة مكسال، الا نهاية هناك للخسائر التي تكبدينني اياها. ماذا تظنينني فاعلاً يا امرأة.. جالساً فوق كومة ذهب؟» فغضب عليها وأسمعها كلمات نابية. وهنا التقطت «سنية» حجراً كبيراً قذفت به الحدأة التي ادركت على الفور مرادها. فحاولت الهرب ولكن بعد فوات الأوان اذ اصابتها الضربة في مخالبها فطارت بعيداً وهي تزعق حتى اختفت عن عيني «سنية». فجاءتها دواجنها تركض من كل صوب وحدب وتسابقت الأفراخ باسطة اجنحتها كأنها تطير. وارتمت على ساقي صاحبتها في تزاحم تنقرها نقراً خفيفاً وهي تزقزق جوعى. فنثرت لها «سنية» ملء حفنتيها كسار ذرة وجاءتها بوعاء مترع بفتات خبز مبلل فأكلت الدجاجات بتؤدة. أما افراخها فانكفأت تزدرد وتغص وتتهارش حتى انتفخت حواصلها. فتراجعت متثاقلة تنفض اعناقها يميناً وشمالاً كي ينزلق الطعام المحشور في حلاقيمها فلملمتها «سنية» في حنو زائد، وهي تبتسم وساقتها تبيتها في ركن صغير بنته من الطين والقش الى جدار كوخها.. وأحكمت اغلاق بابه ثم تراجعت تهم بالانصراف لشأن آخر عندما لمحت اختها «عسلية» التي تقيم في الجانب الغربي من القرية، تمر مسرعة أمامها في طريقها الى الترعة لتملأ جرتها مرة اخيرة قبل انسدال الليل.

وكانت تصحب «عسلية» ابنتها الطفلة «هانم» توازن على رأسها هي الأخرى جرة صغيرة منقوشة بألوان خضر وحمر. فقد كانت «هانم» ابنة وحيدة مدللة لها خمسة اشقاء، وكانت امها ذات حمل، وهي تنتظر شقيقها السادس بفارغ الصبر.

كانت «هانم» ترغب في أن يكون المولود المنتظر غلاماً لأنها لا تريد اختاً لها تقاسمها حب ابويها وعطف اخوتها. وعادت «هانم» الصغيرة تحك رأسها في حيرة، ولكن مجيء مولود جديد في الكوخ يعود عليهم دائماً بالخير فيحد ابوها من صياحه لأتفه الأسباب ويترفق مع أمها يأتيها بكيس تطل منه حبات العنب او بنصف أقة «جميز» وينقلب اشقاؤها المزعجون الى صبية هادئين طوع بنان امهم لا يصخبون ولا يتشاحنون، ويأتي الجيران زرافات ووحدانا محملين بالهدايا المختلفة: نصف قدح من الأرز، صاع مترع بالشهد، قصعة لبن، حبات كبار من الجوافة الكهرمانية الوهاجة، رمانتان او ثلاث، فيحدقون لحظة في الوليد النائم في الغربال المدلى من سقف الحجرة بالحبال ثم يرددون:

— «باسم الله ما شاء الله، ربنا يحميه..»

كانت «هانم» الصغيرة موفورة السعادة في أيام كتلك، وجوه باسمة، وتهاني، وهدايا طوال اليوم. كما ان جارات امها كن يسترقن لحظات من يومهن المزحوم ويتبادلن خدمتها مرحبات. فيشعلن النار لتدفئتها هي ومولودها ثم يخبزن ارغفة طازجة شهية ويشوين من البطاطة وكيزان الذرة والبيض الشيء الكثير. فيعم الخير وتظل هانم «تأكل وتأكل».

حتى اذا كان اليوم المشهود، اليوم الثالث من الوضع، سلقت الجارات لحماً، تلمظت «هانم» لحياله وملأت خياشيمها رائحته الزكية، فيطعمن امها اولاً من الدسم ثم يملأن الصحون للآكلين والآكلات من الأحباء المقربين. وقبل الغروب تسعى «خالة سرية» اليهم، وهي امرأة مسنة تقوم بعمل القابلة من سنين، فيستقبلونها بالترحاب وهي تدخل بتؤدة. فتحمل لفائف المولود وتدهن بدنه الصغير بالزيت وتقطر في عينيه وتكحلهما وتلفه ثانية، ثم تحمله على



ذراعيها المعروقتين وتدور به في حارات القرية . والأطفال من حولها ينشدون ويرشون الملح . فتضع « خالة سرية » الطفل في غرباله على الأرض وتظل تدق هاوناً نحاسياً بشدة وهي توصية خيراً بأبويه ، فتحمله بين الزغاريد والهتافات الى امه لترضعه ، ويختتم الحفل بتوزيع أصابع من الحلوى الملونة والشراب على المهنئين .

وبيت المولود ليلتها في غرباله ، وحوله ثلاث شمعات صغيرة مضاءة ، تحت كل واحدة منها وريقة باسم من الاسماء . حتى اذا طلع النهار هرعت الأم لترى اية شمعة لا تزال قائمة ترسل نورها فيسمى الطفل باسمها .

اما اذا اطفئت الشمعات الثلاث كلها سمي الطفل باسم « منسي » . . .

تنهدت « هانم » الصغيرة وهي تستعرض في ذاكرتها كل هذه الأشياء الحبيبة الى نفسها ، تلك التي ستتاح لها مرة اخرى عن قريب . وابتسمت زهواً وهي تذكر ان قدرها يعلو دائماً بين لداتها في مثل هذه المناسبات . فيتملقنها ويتقربن اليها متزلفات . ولم تكن الزائرات المهنئات ينسين ملاطفتها ، وهي الأبنة فيربتن على خدها ويمسحن على شعرها ويقلن لامها :

« هاك قرة عينك الحقة » .

فتأخذها امها بين ذراعيها تضمها وتقبلها .

لكل تلك الأسباب استخلصت « هانم » من زمن أن « قرتي عين » في الأسرة يسببان زحاماً شديداً .

تململت « هانم » في وقفتها وقد انهمكت امها في حديث طويل مع خالتها « سنية » . فراحت تضرب الأرض بقدميها قلقة وتجذب ثوب امها لتلتفت ناحيتها ووجهها مرفوع اليها تهمس في اصرار .

« امي . . يا امي . . امي » .

فلما نظرت « عسلية » اليها سائلة ، قالت :

– « هيا بنا يا أمي . . هيا نجلب الماء .

فربتت « سنية » رأس بنت اختها المدللة :



– « لم العجلة يا حبيبتي ؟ ! اتنتظرك البنات في الحارة للعب ؟ »

ثم استدارت نحو أختها تسألها بلهفة وحنان :

« وانت يا اختي . . متى تضعين ؟ »

فأجابت « عسلية » وهي فارعة الطول ، دافقة الصحة ، وضاحة الوجه تبتسم دائماً :

يا اختي يا « سنية » لا أعجب اذا وضعت حملي الليلة . « إلهي يسمع مني » . فانا اكره ان أظل سجينة الفراش ثلاثة أيام طوال عراض . وتنهدت باسمة « نتركك بعافية يا اختي » .

وسارت نشطة تقطع الطريق الطويل الاغفر في خطوات واسعة وابنتها « هانم » تحجل وراءها .

ووقفت « سنية » تتبعهما نظراتها حتى استخفتا وراء منعطف . ولكن لم يمض طويل وقت حتى عادت « هانم » مهرولة تلهث وتفافيء وتثأثيء :

– « يا خالتي « سنية » . . ادركي امي . . المولود . . على . . عند الترعة .

ودفعت الى خالتها لفيفة كانت تحملها في احضانها . فانحنت « سنية » تمد يدين ترتعشان من المفاجأة وحلت خمار اختها « عسلية » عن طفل حديث الولادة . فرفعت وجهها نحو السماء واطلقت زغرودة مجلجلة ، ثم أسرعت إلى كوخ اختها حيث ارقدت الطفل في فراشها والتفتت الى « هانم » فأجلستها الى جانبه ، وهي تقول :

– « امكثي هنا يا حبيبتي مع أخيك حتى أذهب أنا إلى أمك » .

فلما أومأت « هانم » برأسها موافقة ، وضعت « سنية » ذيل جلبابها بين أسنانها وراحت تعدو تسابق الريح . وهناك على شاطيء الترعة وجدت اختها مستلقية في ظل شجرة صفصاف حانية وارفة الظل .

وكانت « عسلية » تضم الى صدرها لفيفة اخرى ، فتسمرت « سنية » مكانها فاغرة الفم تتطلع . وكانت الشمس قد مالت للمغيب ، والطريق مقفر والجو تخف وقدته عن ذي قبل .

فنظرت « عسلية » الى اختها باسمة وقالت ، وهي تعرض عليها التوأم الآخر :

– « انهما غلامان يا اختي . وهذا الذي معي يشبه أباه الى حد كبير »

ثم تنهدت بارتياح واردفت :

– « الحمد لله . يارب لك الف حمد وشكر . لم اشعر بآلام تذكر . . كانت معي مصادفة مطواة زوجي وجاءتني ابنتي « هانم » ببعض الماء من هنا ولوحت بذراعها صوب الترعة وتم كل شيء في مثل لمح البصر ربنا كريم عارف حالنا وحاجتنا فوفر لنا أجر القابلة . »

وضحكت بسرور وقلبت يدها بطناً وظهراً في سعادة وهناء . ثم ناولت توأمها الى اختها ونهضت هي نشطة تغسل جرتها وتملؤها . ثم وازنتها على رأسها وسارت نحو القرية تنادي اختها لتلحق بها .

وهناك ، في كوخها شمرت « عسلية » عن ساعديها وطهت عشاء اسرتها وغلت بعض الحلبة فشربتها ثم حملت التوأمين على ذراعيها والقمت كل منهما ثدياً .

ودخل زوجها « ابو المعاطي » يحمل فأسه على كتفه ومن خلفه صبيته الخمسة . فما رأوا « عسلية » على تلك الحال حتى راحوا يقبلونها ويتحسسون اخويهم الجديدين . أما « ابو المعاطي » فشقت وجهه المتعب ابتسامة عريضة ومال على امرأته يقول :

– « حمد الله على سلامتك . »

فغمغمت سعيدة :

– « ان شاء الله تسلم » . ثم اردفت : « ربنا كريم فقد وفر لنا مصاريف لا قبل لنا بها »

فضحك زوجها يوميء موافقاً :

– « ونعم بالله . والله يا « عسلية » انا كنت أعمل فوق طاقتي طوال الشهر الماضي في حقلي وحقول الآخرين لأدخر قرشين ينفعونا أثناء وضعك . »

فقطبت « عسلية » حاجبيها وقالت تلومه :

– « لم تحمل نفسك فوق طاقتها ؟ صحتك بالدنيا . وجودك معنا يكفينا . ربنا يطيل عمرك لتربي اولادك وتفرح بهم » .

فمسح « ابو المعاطي » شعرها بحنان :

– يا رب تعيشي انت لنا يا نوارة بيتنا . اللقمة الهانئة تكفي مئة »

ومال يقبلها فلمحت عيناه اختها « سنية » تقف الى جانب . فتراجع خجلاً وتنحنح محرجاً . فضحكت « سنية » وخرجت تسحب الباب خلفها لتترك الأسرة تستدفيء برضا وحب .

وعادت الى دارها تسير الهوينا ، وتثاءبت بصوت عال وهي تحك رأسها في شرود . ودخلت إلى كوخها وراحت تدور من حجرة الموقد الى الزريبة متململة لا تهدأ . وهنا فتح باب الكوخ بلطف ودخل « عبد الرحيم » يبتسم متودداً فدارت « سنية » على عقبيها تواجهه وهي تذكر ذلك اليوم الذي أساء فيه اليها وأمطرها بوابل من الكلمات النابية بسبب الحدأة ، واندفعت الدماء تورد وجنتيها وتلج راحتيها فضغطت بكف صغيرة مرتعشة على صدرها كأنما تبتهل الى زوجها ان يهدأ شيئاً .

وساد صمت حرج . فتململ « عبد الرحيم » في وقفته ، وفجأة تهلل وجهه كأنما تذكر أمراً ودس يده في عبه واخرجها بلفيفة وامسك بيدي امرأته في خشونة ودفع بهديته فيهما ثم اطبق اصابعها عليها .

فضحكت « سنية » وانفغر فاهها من شدة السعادة ونظرت الى زوجها في تساؤل عينين لامعتين .

فدفع « عبد الرحيم » لبدته على جبهته في زهو وسرور فتمايلت « سنية » نشوى تحتضن هدية رجلها .

– « عبد الرحيم . . . »

– « هيــه ! »

– تحبني يا « عبد الرحيم ؟ »

– « وانا لي بركة الا انت يا « سنية ؟ »

– « لا عدمتك ابداً يا « عبد الرحيم يا زوجي العزيز ! » ●

جاذبية صدقي – القاهرة

أخبار الكتب

* كتاب موسوعي من كتب السير والتراجم صدر بعنوان « من اعلام الفكر والأدب في فلسطين » للأديب الراحل الأستاذ يعقوب العودات المكنى « بالبدوي الملثم » ضم تراجم لأكثر من ٣٠٠ من أهل الفكر في فلسطين ، فوقع الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير .

وقد طبع في عمان ، وصدر بخلاصة مركزة لمقدمات مسهبة كتبها الأساتذة محمد عبد الغني حسن والدكتور احمد الشرباصي وسامي الكيالي وفارس دبغي .

* ومن السير والتراجم التي صدرت مؤخراً ، الجزء الثاني من كتاب « اعلام الاصلاح في الجزائر » من تأليف الأستاذ محمد علي دبوز ونشر مطبعة البعث في قسنطينة ، والكتاب يؤرخ لطائفة من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر ، تأريخاً يجمع بين الذكريات الخاصة للمؤلف والحقائق التاريخية التي سجل المؤرخون اطرافاً منها .

* ومن الدراسات الجديدة التي تتناول سير المفكرين وأعمالهم كتاب « عالم تيمور القصصي » للأستاذ فتحي الابياري ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو استقصاء لحياة الروائي الراحل محمود تيمور واعماله ، وكتاب « يوسف ادريس والمسرح المصري الحديث » للدكتورة نادية رؤوف فرج ونشر دار المعارف ، وكتاب « شاعر ليالي الهرم » وهو دراسة عن الشاعر الراحل صالح جودت نشرها في عمان الاستاذ محمد محمود رضوان ، وكتاب « اقبال والعالم العربي » للدكتور حسين مجيب المصري وهو باللغتين العربية والانكليزية وقد نشرته مكتبة الأنجلو المصرية ، وكتاب « محمد الشاذلي القسنطيني » للدكتور أبو القاسم سعد الله ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، وكتاب « محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث » للدكتور ابو القاسم أيضاً وهو من نشر دار المعارف ، وكتاب « نيتشه » للدكتور عبد الرحمن بدوي ونشر وكالة المطبوعات في الكويت .

* صدر المجلد الثاني من مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها في اوائل هذا القرن الأديب الراحل الأب انستاس ماري الكرملي باشراف الأستاذ جميل الجبوري . وقامت بنشره وزارة الاعلام العراقية .

* من كتب التراث التي حققت اخيراً « ديوان بشار » وقد صدر في أربعة أجزاء و « ديوان النابغة الذبياني » وقد حقق الديوانين الأديب الراحل الشيخ محمد طاهر بن عاشور ونشرتهما الشركة التونسية للتوزيع ، وكتاب « محمد » للأديب الراحل رفاعة رافع الطهطاوي وقد حققه في جزءين الدكتور فاروق ابو زيد ونشرته دار الفكر والفن ، و « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » لجمال الدين بن نباته المصري وقد حققه الدكتور عمر موسى باشا .

* مجموعة من الدراسات الاسلامية نشرت في الأوان الأخير منها « قادة الفكر الاسلامي عبر القرون » للاستاذ عبدالله بن سعد الرويشد ونشر دار عيسى الحلبي و « الله والكون » للدكتور محمد جمال الدين الفندي ونشر الهيئة المصرية ، و « الأديان والانسان » للاستاذ خليل طاهر وتقديم فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود ونشر دار الشعب ، وكتابان للدكتور مصطفى محمود هما « رأيت الله » نشر دار المعارف و « من أسرار القرآن » نشر دار أخبار اليوم ، و « مع الملائكة » لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ونشر المجلس الأعلى لرعاية الشؤون الاسلامية ، و « الاسلام والعروبة » للاستاذ محمود كامل ونشر الهيئة المصرية .

* في باب الدراسات الأدبية صدرت الكتب التالية : « محاضرات في علم النفس اللغوي » للدكتور حنفي بن عيسى ونشر الدار التونسية للنشر ، و « أدب الرحلة عند العرب » للدكتور حسني محمود حسين ونشر الهيئة المصرية ، و « نظرية المسرح الحديث » تحرير اريك بنتلي وترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروة ونشر وزارة الاعلام العراقية و « تجربة البحث عن أفق » وهو دراسة في الرواية العربية المعاصرة للأستاذ الياس خوري ونشر مركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية ، و « الشعر الجزائري الحديث » للشاعر صالح خرفي ونشر الشركة الوطنية .

* صدر للأديب الراحل الأستاذ عبد الحميد ياسين كتاب « رسالة التربية » وقد نشرته وزارة التربية والتعليم الأردنية باشراف لجنة من الأساتذة محمد أديب العامري ، والدكتور محمد نوري شفيق ، وعبد الرحمن بشناق ، ومحمود العابدي .

* ومن كتب التربية التي صدرت اخيراً « فكر المعلم » للأستاذ عبد الرحمن بو زيدة ونشر الشركة الوطنية ، و « تعلم لتكون » للوزير الافرنسي ادجار فور بتكليف من هيئة اليونسكو وقد ترجمه إلى العربية الدكتور حنفي بن عيسى ونشرته الشركة الوطنية ، و « المجتمع القروي وثقافته » لروبرت ردفيله وترجمة الدكتور فاروق محمد العادلي ونشر الهيئة المصرية .

* صدر للأستاذ مصطفى بهجت بدوي كتاب يضم طائفة من فصوله الصحفية عنوانه « من مذكرات رئيس تحرير » نشرته دار الشعب .

* كتاب عن « الزيتون : تربية الأشجار وتصنيع الثمار » صدر عن مكتبة الأنجلو للمهندس الزراعي الأستاذ عبد اللطيف واكد .

* أصدر الأديب العراقي عبد الحق فاضل مسرحية شعرية عنوانها « هو الذي رأى » وهي ترجمة لملحمة قلقميش وطأ لها بدراسة مسهبة عن هذه الملحمة وقيمتها في التراث الفكري . وقد نشرته دار النجاح ببيروت .

* « منتخبات من القصص الفلسطيني » صدرت في كتاب جديد نشره اتحاد الكتاب التونسيين تعريفاً بالانتاج الروائي لمجموعة من أدباء فلسطين ●



حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفين التاليين :

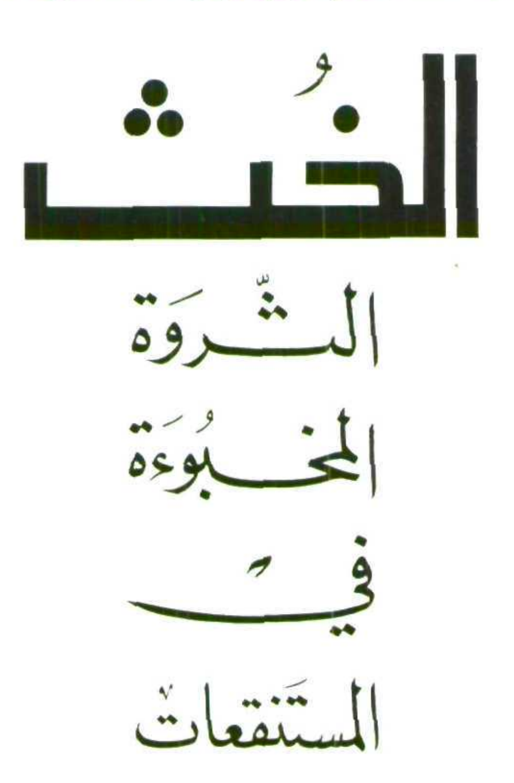
* « مؤتمر رسالة الجامعة » وهو كتاب يضم بين دفتيه وقائع هذا المؤتمر العلمي الذي تبنته جامعة الرياض ودعت اليه عدداً من رجال العلم والفكر والصحافة بالاضافة الى ممثلين عن الجامعات والمعاهد والكليات والمؤسسات . كما يضم الكتاب أنشطة المؤتمر والموضوعات والبحوث التي طرحت ونوقشت خلال فترة انعقاده من ٢ الى ٥ ذي القعدة ١٣٩٤ ، الى جانب مجموعة من الصور المختلفة التي عرضت في معرض رسالة الجامعة طوال فترة الانعقاد .

* « رحلة العمر » ديوان شعري للشاعر علي حسين الفيفي ، أحد المؤسسين لنادي الطائف الأدبي ، وهو يضم مجموعة من القصائد الشعرية صور فيها الشاعر أحاسيسه ومشاعره النابعة من بيئته ووطنه . ويقع الديوان في نحو ١٣٠ صفحة من القطع الصغير ، وقد تم طبعه في مطابع الزايدي بالطائف ●

في المستنقعات طبقة عليا من التربة تشتمل على العشب وجذوره تعرف بـ «الخث» اتخذها البريطانيون والايرلنديون مادة ميسورة يوقدونها في مدافئهم ليقوا بها أنفسهم غائلة البرد وزمهرير الشتاء القارس. هذه المادة المتوفرة في المستنقعات لا تزال ذات منافع جمة، فهي تستعمل في أغراض عديدة، ابتداء من صناعة أصص الزهور إلى توفير الوقود لمحطات توليد الكهرباء.

الخُث
الثّروة المخبوءة في المستنقعات


١



٢

الخُث «Peat» نسيج نباتي نصف متفحم يتكون مع الزمن بتحلل النباتات تحللا جزئياً في الماء. ويعتبر احد أشكال الفحم المعروفة، بل يؤلف المرحلة الأولى من مراحل تكون الفحم. وهو في الغالب داكن بني اللون يحتوي على نسبة ضئيلة من الكربون، ويعود ذلك الى ان تحلل المادة العضوية فيه لم يتم، ولهذا يعد من أردأ أنواع الفحم المعروفة مثل «اللجنيت — Lignite» و «الانثراسيت — Anthracite» والفحم البيتوميني. ويوجد الخث في المناطق ذات المناخ الرطب الذي يساعد على تحلل الأشجار والطحالب، ونباتات البردي، والسعادى، والأشن، والقصب، والاسل، والسمار، وغيرها من النباتات التي تنمو في المستنقعات منذ آلاف السنين. وتحتاج هذه النباتات البحرية حتى تتحول الى خث الى نحو ٢٥٠٠ سنة، ويتراوح عمق طبقات الخث في بعض الأماكن بين مترين وعشرين متراً. أما أعظم ترسبات الخث فهي موجودة في الاتحاد السوفييتي، حيث يجري استغلالها في توفير الوقود لعدد من محطات توليد القوة الكهربائية. وتوجد رواسب الخث بكميات كبيرة في بعض الولايات المتحدة الامريكية كفلوريدا، وميتشيجان، ومنيسوتا، ووسكونسن، بيد ان هذه الرواسب لم يجر تطويرها واستغلالها الا في الأغراض الزراعية وعلى نطاق محدود، اذ تتم معالجة وتصنيع الخث الطحلبي — Peat Moss وتحويله الى أجود أنواع الأسمدة، او استعماله كمهاد يفرش على الأرض لوقاية جذور النباتات الغضة من الحرارة او البرد او لإبقاء الثمار المتساقطة نظيفة.

والايرلنديون هم أكثر الناس اهتماماً واعتناء بالخث، فمنذ عهود سحيقة استعملوه في تدفئة منازلهم. ولا يزال سكان بعض القرى في المناطق الريفية في ايرلندا حتى اليوم يستخدمونه في اغراض التدفئة. ويتم استخلاص خام الخث إما بالطرق اليدوية البدائية او بالطرق الآلية. فيقطع بالمجارف الطويلة او آلات خاصة، ثم يوضع في منطقة مكشوفة ليجف بتعريضه للشمس والريح مدة قد تصل الى ستة أسابيع. وكلما كان الخث اكثر جفافاً كان احتراقه في المدافيء أنظف. بل تنبعث من احتراقه رائحة عطرة تنتشر في المكان كله، أضف الى ذلك انه يتخلف عن احتراقه مسحوق ناعم يمكن التخلص منه بسهولة ويسر.

لقد كان منظراً مألوفاً، حتى الاربعينات من هذا القرن، مشاهدة بائعي الخث بقبعاتهم

١ – فلاحة ايرلندية تحمل على ظهرها سلة مملوءة بالخُث جمعته من المستنقعات القريبة .

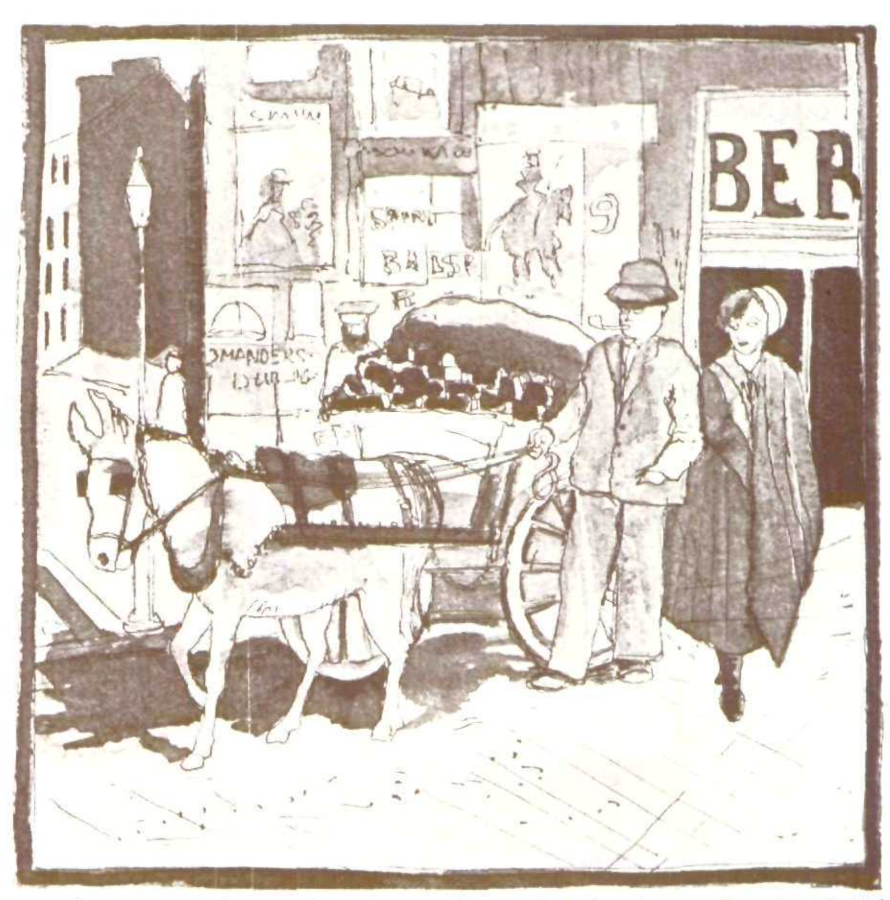
٢ – بعض الأدوات البدائية التي كان يستعملها الايرلنديون في استخلاص الخُث .

٣ - كل عائلة في يورك شاير بانجلترا كان لها قطعة خاصة بها تأخذ منها الخُث .



عندما اصبحت موارد ايرلندا من الفحم ضئيلة في الحرب العالمية الثانية لجأت الى وقود الخث لتسيير قاطراتها .

المستديرة يجوبون شوارع مدينة دوبلن – Dublin بعرباتهم التي تجرها الحمير محملة بالخث يعرضونه على ربات البيوت . ولم يلبث هذا المنظر ان أخذ يتلاشى تدريجياً مع شيوع استعمال الفحم ، بيد ان نشوب الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من نقص في موارد الوقود ، افسح المجال لظهور الخث على المسرح ثانية ، فكنت ترى اكواماً ضخمة من الخث مكدسة في متنزه فونيكس – Phoenix Park في دوبلن . حتى ان قاطرات السكة الحديد اخذت تسير باستعمال الخث . وكثيراً ما كان المرء يشاهد في تلك الأيام الحالكة طوابير الأهالي وهم يهرعون حفاة تحت زخات المطر الى ارصفة الميناء لشراء حزمة من الخث يوقدونها في منازلهم للتدفئة والطهو وغير ذلك من الأغراض المنزلية . وهناك من يقول ان نار الخث لم تنطفيء جذوتها طوال قرن في الاكواخ الايرلندية خارج المدن الكبيرة . ومن التقاليد المرعية في اشعال نار الخث ان ربة البيت تقوم بتغطية النار بالرماد حينما يأوي افراد الاسرة الى فراشهم حتى يبقى وميضها متأججاً من خلال الرماد طوال الليل حتى الفجر ، ليسهل عليها اشعالها ثانية لاعداد وجبة الصباح لاسرتها .



هكذا كان بائعو الخث يتجولون في شوارع « دبلن » بعرباتهم منذ مئات السنين يعرضون الخث على اصحاب البيوت .

أمّا في وادي يوركشاير في انجلترا فان صغار المزارعين من بريطانيين واسكتلنديين لا يزالون يشعلون نيران الخث بنفس الأسلوب الذي اتبعه اسلافهم . وهناك عدد من الفنادق الريفية الانجليزية يوقد نار الخث في أماكن خاصة كضرب من ضروب اللهو والتسلية يوفرها لرواده الذين يتحلقون حولها ، ليستمعوا على وهجها الى حكايات ممتعة عن خث المستنقعات ، يسردها عليهم قصاصون بارعون . وكثيراً ما ينسج الأهالي حول الخث أساطير واقاصيص ، يلعب الخيال المجنح في سرد وقائعها دوراً كبيراً ، حتى لقد غدت تراثاً ادبياً شعبياً حافلاً ، انتقل من جيل الى جيل ، كما انتقلت الينا قصص الف ليلة وليلة ، وقصص الزير سالم وما شاكلها . فيروون مثلاً قصة البحيرة السحرية في مقاطعة « ويلز » على مقربة من « سنودونيا — Snowdonia » وهي بحيرة جميلة هادئة في وسطها جزيرة من الخث . وخلاصة هذه القصة انه حدث يوماً ان شاهد مزارعو المنطقة الجزيرة تعوم في البحيرة وكأنها قد اقتلعت من جذورها ، فاكتأب المزارعون لضياع الخث ، ليس ذلك فحسب بل ان الجزيرة المتحركة نقلت قطعان الماشية من أبقار وأغنام الى الضفة الأخرى من البحيرة السحرية الأمر الذي اندلعت على اثره حرب بين سكان المنطقة أشبه ما تكون بحرب داحس والغبراء .

واذا كان الخث نعمة في بعض المناطق الا انه كان نقمة في غيرها ، فكثير من مستنقعات الخث يتحول مع هطول الأمطار الغزيرة الى سيل جارف من الطين الغروي اللزج يهدد حياة المزارعين ، وينشر الرعب بينهم ويدمر مزارعهم وأكواخهم . ففي ليلة من ليالي الخريف الدامسة من عام ١٧٧١ هطلت أمطار غزيرة على احد مستنقعات الخث الكبيرة في اسكتلندا ، فتحولت الى طوفان اسود أغرق المزارع والأكواخ وحظائر الماشية . ذلك هو الوجه الحالك من عملة الخث ، أما الوجه الآخر فهو مضيء لما يحمل في طياته من منافع كثيرة . لقد كان الايرلنديون الرواد الأوائل في استغلال الخث ، اذ استعملوه في القرن الثامن عشر كوقود للأفران في عمليات تقصير الكتان وصناعة الطابوق . كما استخدموه كوقود لتسخين مياه الحمامات التركية او « بيوت العرق — Sweat Houses » كما يسميها الايرلنديون . أما صيادو سمك السلمون فكانوا ينقعون الخث بالزيت ويحرقونه ليجتذب ضوؤه الاسماك .

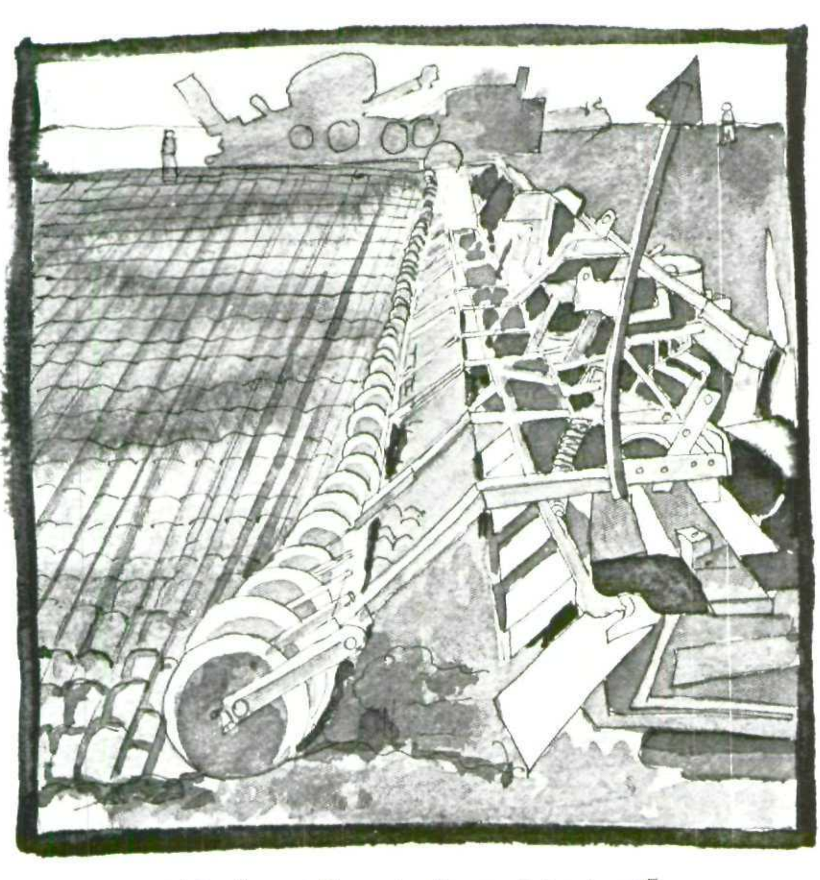
لقد ثبتت فائدة الخث في الميدان الطبي أيضاً ، ففي عام ١٨٧٠ وبينما كان احد عمال استخلاص الخث يقوم بعمله جرحت ذراعه . ولما لم يجد رفاقه ما يضمدونه به لفوه بطحلب المستنقع . وشد ما كانت دهشتهم كبيرة عندما رفعوا الطحلب عن ذراعه بعد أيام قليلة ليجدوا الجرح قد التأم تماماً . وبعد اجراء بعض الدراسات على الخث الطحلبي اتضحت فائدته كضماد فعال بعد معالجته بعقاقير معينة . واستخدم على نطاق واسع ابان الحرب العالمية الأولى كأضمدة ميدانية .



في ايام البرد القارس كان الايرلنديون يهرعون الى ارصفة الميناء لابتياع حزمة من الخُث يتقون بها زمهرير الشتاء .

كما أخذ الخث يشق طريقه إلى بعض المنتجات الصناعية الاستهلاكية كالعطور ، ومواد التنظيف والاعلاف . اما الايرلنديون فانهم يصنعون اصص الزهور من الخث المضغوط .

ومن ناحية اخرى فان علماء الآثار والأجناس البشرية أخذوا يستفيدون من خث المستنقعات باعتباره مادة تساعد على حفظ المخلفات على اختلاف انواعها دون ان يصيبها تغيير كبير . والسبب في ذلك ان ماء المستنقعات يحتوي على حوامض تساعد على حفظ المخلفات على نحو مثير . ولهذا راح كثير من علماء الآثار يقتفون جزءاً من تاريخ الانسان في هذه المستنقعات سيما وان فرص العثور على الأدوات القديمة المصنوعة من الظّرّان والشبه والبرونز والحديد ، التي تمثل مراحل تطور الانسان ، هي أفضل كثيراً منها في مناطق اخرى . ففي عام ١٩٥٠ عثر رجلان كانا يقتلعان الخث من مستنقع في تولند – Tollund في الدانمارك على جثة رجل مقتول سليمة اعضاؤه من أي تلف . وكانت دهشتهما كبيرة عندما علما ، بعد ان عكف على دراسة الجثة عدد من الباحثين الطبيين ، ان عمرها ألفا سنة. ليس ذلك فحسب بل تمكن هؤلاء الباحثون من معرفة آخر وجبة



آلات ضخمة تستخدم لاستخلاص الخث من المستنقعات .



في الحرب العالمية الأولى اتخذ الجنود البريطانيون أضمدة من خث المستنقعات .

أكلها الرجل المقتول . وتقرر ان خث المستنقعات قد عمل على حفظ الجثة من الفساد خلال تلك الحقبة الطويلة . ومما يؤيد تلك الظاهرة ان كثيراً من الحشرات والبذور في المستنقعات ، والتي يزيد عمرها على مائة سنة ، تحتفظ بخصائص تكوينها ، الأمر الذي يساعد علماء الحشرات والنبات على دراستها . وتتبع مراحل نموها . والوقوف على طرائق تكيفها مع البيئة . وبذلك يتسنى لهم النظر في اعادة تنظيم مراحل تطور الحياة النباتية من تلك العصور السحيقة حتى اليوم .

ومن الاكتشافات المثيرة التي لا تزال بعض الاوساط العلمية تتناقلها ، هي قصة شاب عثر على جثته سليمة في غربي ايرلندا مؤخراً . فنقلت الجثة ووضعت أمام كنيسة القرية للتعرف عليها . فمرت امرأة عجوز ، وما ان شاهدت الجثة حتى استبد بها البكاء . ولما هدأ روعها سئلت عن الجثة فقالت . انها جثة فتى أحلامي الذي فقد في احد مستنقعات الخث في المنطقة منذ سنوات عديدة . ولما علم الشاعر الانجليزي « الفرد تنيسون – Alfred Tennyson » بالقصة تفتقت شاعريته عن اروع قصيدة وجدانية نظمها في حياته عنوانها « غداً . . . نلتقي »

ولما كان لخث المستنقعات هذه الأهمية الكبيرة فقد شكلت ايرلندا هيئة خاصة تعنى بتطوير الخث من حيث استخلاصة ومعالجته وتصنيعه ، خاصة وان ايرلندا تأتي في المرتبة الأولى في العالم من حيث تكنولوجية جمع الخث . وتأتي في المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفييتي من حيث الانتاج اذ تنتج نحو ستة ملايين طن سنوياً . فالمعدات الضخمة التابعة لهيئة تطوير الخث في ايرلندا تشق الطبقات العليا من المستنقعات الى عمق نحو عشرين قدماً لاستخلاص الخث . الذي يوفر الوقود لاحدى عشرة محطة من محطات توليد الكهرباء البالغ مجموعها ٢٩ محطة . وبذلك يوفر الخث نحو ربع احتياجات جمهورية ايرلندا من الطاقة الكهربائية . ولا يقتصر عمل هيئة تطوير الخث في ايرلندا على استخلاصه فحسب ، بل تقوم باستصلاح ارض المستنقعات ايضاً . ويعكف علماؤها على دراسة امكانات زراعة بعض المحاصيل والأشجار في المستنقعات بالاضافة الى زراعة الاعشاب لتوفير المراعي للأبقار ●

سليمان نصرالله – هيئة التحرير



راجع مقال «التعليم الوظيمهني»



مسجد "بيبي خانم" في مدينة سمرقند، وقد رصعت واجهته
بالفسيفساء الأزرق والأرجواني، وتجللها الآيات الكريمة.
راجع مقال: لمحات من تاريخ المسلمين في الاتحاد السوفييتي.